

كلمة العدد :

ما الكتابة ؟

بقلم : عمر عبد الله الكوراري

عندما يطرح هذا السؤال من منظور إبداعي تطالعك تعاريف تختلف وتتنوع دون أن تخرج عن دائرة : التعبير والإفصاح والإبلاغ والتواصل وكل ما يدور في فلك الفكر والشعور والإحساس.

ومهما يكن من أمر فإن الكتابة فعل . ولهذا الفعل صفة قد لا تختلف عليها وهي أنه فعل ماضٍ . أي أنه أنجز وانقضى بما أن المولود (المكتوب) قد رأى النور بعد إثر عمليات الإخصاب والحمل والوضع.

وإذا استعرنا المفاهيم الصّرفيّة الناعمة للفعل الماضي وحاولنا تطبيق التصنيف والمتعارف عليها في موضوع الحال لا نرى من النشاز القول بأن فعل الكتابة شأنه شأن أي فعل ماضٍ يمكن أن يكون معتلا أو صحيحا سالما أو مهموزا أما ما اعتل منه فهو ناقص أو أجوف أو ليف. أو مثال ألا ينطبق ذلك على الكتابة

لكن من له الصلاحية في استخدام هذا النعت أو ذاك لوصف كتابة ما ؟ وإذا كانت الكتابة فعلا ماضيا فمأهو حاضره ومستقبله؟ وحتى نبقي في السياق الصربي الذي يخبرناه لنقل مأهو مضارعه ؟

تكون الإجابة عن السؤالين دون تردد : هو التقد بما هو استحضار للكائن المكتوب ووضعه على المشرحة وإعمال الأدوات الملائمة فيه مع التحلي بالكفاءة وامتلاك الصناعة النقدية اللازمة لهذه المهمة .

إنّ المقاربة النقدية للمكتوب هي مقارنة طيبة من حيث الممارسة والمهنية والأخلاقيات التي تحكمها .
فمبضع الجراح الناقد أبعد ما يكون عن أسلحة الدمار الشامل وأقرب ما يكون إلى استئصال "المعتل" وتأنيث "الأجوف" وتصريف "الصحيح السالم" وتخصيب "الناقص" واستناد "المثال" .

لقد تناولنا فعل الكتابة في ماضيه ومضارعه فما شأن الأمر منه ؟ الإجابة من أوّل آية نزلت من القرآن الكريم وأوّل كلمة فيها : "اقرأ.."

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب الديني والوقاية من الأمراض المنقولة جنسيا والسيّدا ورعاية المتعاشين مع المرض

إعداد : الأستاذ الحبيب بوصاع

توطئة :

الحمد لله الذي خلق الدّاء والدّواء، وجعل الحياة بلاء وابتلاء،
تصرّف في الخليقة كيف شاء، وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في
الأرض ولا في السّماء، أحده على ما يمنّ به من توفيق وتسديد وهداية
للمنهج الرشيد وهو الحميد المجيد.
وأصليّ وأسلم على الحبيب المصطفى الأمين سيّدنا محمد خاتم الأنبياء
 والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ، أيّها الملأ الكرم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته
في هذا اللقاء المتميّز الذي حرصت على تنظيمه والإشراف عليه
وزارة الشؤون الدينيّة، يشرفني أن أحدثكم عن الخطاب الديني والوقاية
من الأمراض المنقولة جنسياً والسيّدا ورعاية المعاشين مع المرض.
هذا ، وبإدنى ذي بدء لا تغيب عن حضراتكم الجهود الصّادقة
المبذولة من أجل أن يكون الخطاب الديني في ربوع بلادنا مواكبا
للعصر، وقيا للقيم، متناغما مع التّغيير. متفتّحا على العالم في كلّ

المجالات والميادين وبذلك يصبح خطابنا الديني الذي نرنوا إليه دعامة للإقتصاد وحماية للوطن وتعبيراً للعقليات ودفعاً متواصلاً لعجلة التنمية الشاملة المستدامة . وتلك هي المبادئ الأساسية التي يدعو إليها ديننا الإسلامي الحنيف في صفاته وجوهره وتسامحه واعتداله وسعيه إلى إصلاح الفرد والمجتمع لينعم الإنسان بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

هذا الإنسان الذي كرمه الله ورفع من شأنه وجعله حليفته في أرضه وخلق كل شيء له ومن أجله وهذا ما يحمله الأمانة الكبرى في البناء والتشييد والإصلاح، الدال عليها قول الله تعالى : " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " (الأحزاب 72)

ونظراً لمكانة هذه الأمانة قدس الإسلام الحياة وأكرم الوجود البشري وكان تكريمه أفضل ما عرفته الحياة من تقويم وأسمى ما بلغته الإنسانية من أمن، لأنه لا بقاء للمجتمع ولا دوام للحياة البشرية إذ فقد الإنسان الأمن على حياته والإطمئنان على بقائه، وإذا ما هانت النفس البشرية فوقع التعدي عليها.

لذلك نرى الإسلام يدعو الجماعة كلها للتهوض لوقف هذا العدوان الذي لم يقع على الفرد المعتدى عليه وحده، وإنما وقع على الحياة التي هي قسمة بين الأفراد وبين كل الكائنات البشرية. إن هذا التقويم للحياة والتقدير لها : لا نبذه إلا في الهدى الإلهي حيث يقول الله تعالى في حكم التزويل : "من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما

قتل الناس جميعا ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعا " (المائدة 32).

ذلك لأن المجتمع البشري إذا لم يحصن حياته وبقائه أسرع إليه الانقراض ولحقه الفناء. هذا ولا منقذ للإنسانية في بقائها إلا بالرجوع إلى المفهوم القرآني للحفاظ على الحياة البشرية، وأن أول ما نجد القرآن يدعو إليه هو "المحافظة على حياة الإنسان ذاته" بأن لا يقتل نفسه : إذ هو مؤتمن عليها، وهو مسؤول عنها أمام الله. إذ هي ليست ملكا له وإنما ملك للإنسانية كلها. وصدق الله تعالى القائل : " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما " (النساء 29) وقال أيضا :

" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " (البقرة 195) . هذا وإذا كان الأطباء والعقلاء يقولون " أن الوقاية خير من العلاج " فإن الوقاية هي حفظ للنفس مما يؤذيها، وإبعادها عما يضرها لأن الحيلولة دون وقوع الداء توفر الكثير من الجهود والمتاعب ولأن سد الباب على العلة أسهل بكثير من علاجها بعد أن تتمكن وتتحكم. والإنسان مهما أوتي من قدرات نراه لئن استطاع ييسر أن يصد الكثير من الآفات إذا جاءت تريد أن تدخل ، إلا أنه قد يفشل في القضاء عليها إذا فتح أمامها الباب وسمح لها بالدخول. هذا وأن المتتبع لآيات الذكر الحكيم يلحظ أنها تشير إلى مكانة الوقاية وأهميتها حيث يقول رب العزة سبحانه :

" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ... " ويقول سبحانه :

" وفهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم " (غافر 09) .

هذا ولا ننسى حضرات الإخوة الكرام أن الوقاية قرية في معناها من التقوى، لأن التقوى اتقاء واجتناب وسد للذرائع وحذر من الشبهات. فهي إذن وقاية وابتعاد عن أسباب الشرّ والفساد. وهي جعل للنفس في وقاية من كلّ مخوف وهي تمسك بأسباب الهدى والرّشاد.

سؤال : وهل هناك شرّ ماحق للإنسان بعد حوادث الطرقات أشدّ من آفة السيّدات الناجمة عن فيروس نقص المناعة المكتسبة ؟

هذه التي تصيب الملايين سنويًا في العالم وتحصّد مئات الآلاف إلى جانب ما تسبّب في معاناة المتعاشين معها، إذ تجعل نظام الدّفاع عن الجسم يفقد فعاليته ويتعرّض للهجمات الخارجية مثل : الفيروسات والبكتيريا والطفيليات ... ووقاية من هذا المرض العضال الذي استعصى على العالم علاجه لا يذّن أن كلّ فرد منا عارفاً بالأسباب المؤدية للإصابة به، إذ هو ينتقل من شخص إلى آخر بالعدوى عن طريق:

- الإتصال الجنسي المباشر غير الشرعي

- وكذلك عن طريق الشذوذ الجنسي أو ما يسمّى باللواط

في حين أن القرآن الكريم يقرع الآذان بقوله تعالى : " قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " (الأعراف 33) . وبقوله تعالى أيضا : " ولا تقربوا الزّنى إنّّه كان فاحشة وساء سبيلا " (الإسراء 32). كما ينتقل هذا الداء عن طريق الدّم الملوّث بالفيروس وذلك من خلال الأدوات الجراحية والطبيّة إن كانت ملوثة وغير معقّمة وحقن المخدّرات التي تستعمل لعدد الأشخاص ولم تكن معقّمة وكذلك عن

طريق فرشاة الأسنان أو شفرة الحلاقة إن استعملها أكثر من واحد وكان أحد المستعملين لها مصابا بهذا الداء علم ذلك أو جهل.

كما يمكن لجرثومة هذا المرض أن تنتقل من المرأة الحامل المصابة إلى جنينها أو رضيعها. ولا يمكننا ان نتناسى أيضا استعمال الأدوات غير المعقمة لثقب الأذنين والوخز بالإبر للعلاج أو لاستعمال الحرقوس.

وللوقاية من هذه الآفة :

يتعين على كل من يشك في أنه يحمل هذا الفيروس أن يجري تحليلا مخبريا خاصة وأنه تبين علميا ان الشخص قد يكون مصابا دون ان تبدو عليه اي أعراض مرضية لمدة قد تزيد على عشر سنوات ومن هنا يمكنه أن ينقل هذا الفيروس ولو من خلال الممارسة الجنسية المباحة أي مع زوجته أو طريق دمه وإفرازات جسمه. كما يتعين على المرأة التي تحمل فيروس "السيدا" أن تتجنب الحمل حتى لا تكون سببا في مأساة تحصل لجنينها.

ملاحظة : ورسالتنا في مجتمعنا حضرات السادة الأفاضل العمل على مكافحة هذا الوباء قبل فوات الأوان، وذلك بالتعاون الدؤوب مع المجتمع المدني عامة من اجل نشر التوعية حول هذا الفيروس كل من منطلق مسؤوليته، وخاصة لما للإمام الخطيب من دور مؤثر في حماية من حوله، وقد أخذ العهد منه أن يبين للناس الرشد من الغي. قال تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه" (آل عمران 187) . هذا وأن الأفراد الذين يلتزمون سلوكا أو نمطا في

الحياة يجعلهم أكثر عرضة للإصابة بهذا الداء وهؤلاء يحتاجون لمن يحميهم إما من أنفسهم أو من ضغوط المجتمع وقبوده التي تدفع بالفرد لهذه الممارسات، إنهم في حاجة للدعم المعنوي والروحي الذي يقوّي الإيمان في قلوبهم، وللمعرفة التي ترشدهم إلى الطريق القويم.

وهذا ميسور أمره، مقدور عليه من آيمنتنا الأجلّاء : إذ هم الأقرب إلى الناس والأكثر قبولاً في المجتمع والأُنفع هدياً لذلك وللميثاق الربّاني الذي أخذه الله عزّ وجلّ علينا بقوله : "ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (آل عمران 104). وكذلك للأمر النبوي "الدين النصيحة" قلنا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم" (مسلم).

ملاحظة : هذا ويمكننا أن نحصر رسالتنا التوعويّة في اتجاهات ثلاثة :

1- رسالتنا إلى الشّباب :

إنّ أضمن وقاية لشبابنا وحماية لأمتنا من خطر السيّدات هو الدّعوة والإقناع بضرورة الإمتناع عن العلاقات الجنسية خارج الزواج، وهو ما يفرضه ديننا الإسلامي الحنيف بغية التحلّي بأخلاق الإسلام، وهذا يتحلّى من خلال قول الله تعالى : "قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون" (النور 30)

هذا ويعتبر الإسلام الممارسة الجنسية الخارجة عن الزواج جريمة ويحرّمها تحريماً باتاً لقوله سبحانه وتعالى : "ولا تقربوا الزّنى إنّهُ كان

فاحشة وساء سبيلاً" (الاسراء 32). ومن هنا كانت الإستقامة على منهج الشرع وأتباع الهدى أمر رباني إذ فيها الأمان من الخوف وعدم الحزن في الدنيا والآخرة، قال تعالى : "فاستقم كما أمرت" (هود 112). وقال أيضا : "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (الأحقاف 13).

واختصر الرسول الطريق إلى الله بقوله صَلَّى الله عليه وسلّم : "قل آمنت بالله ثم استقم" (مسلم). فمن استقام على هدي الشرع وجنب نفسه هذه السلوكيات المحرّمة المتصلة إمّا بالرغبة الجنسية أو العادات والتصرفات الخاطئة التي تنقل الفيروس جنب نفسه الإصابة به، فالإستقامة هي الحاجز الأول لأنها تعني البحث عن الصراط المستقيم والبعد عن كلّ درب معوج أثيم، يضاف إلى ذلك العقّة، إذ هي الطريق الأسمى والأعلى لمكافحة انتشار هذا الوباء إذ أن انتشاره عن طريق الجنس عموما نسبته تتراوح من 77% إلى 85% من بلد عربي إلى آخر، وصدق الله القائل : "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله" (النور 33).

ولنا في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز أسوة حسنة حين راودته طلبا للفاحشة فقال "معاذ الله"، وقال رسولنا الأمين : "من استعفف يعفيه الله ومن تصبّر صبره الله" (أحمد).

ولا ننسى في هذا المضمار أن أضمن وقاية لشبابنا هو: الزّواج مع الوفاء، وعلينا أن نوجّه المجتمع نحو تسهيل الزّواج بالنسبة للشباب

(ذكورا وإناثا) وبذلك نحميهم بصورة غير مباشرة من فيروس نقص المناعة المكتسب (الإيدز) والأمراض المنقولة جنسيا، قال رسول الله (ص): "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (الترمذي). هذا ونظرا لكون الشخص المصاب بفيروس نقص المناعة قد لا تبدو عليه أي أعراض مرضية وجب توعية شبابنا بضرورة القيام بالفحص المخبري للأمراض المنقولة جنسيا قبل الزواج في مقدمتها "الإيدز" وهذا يوفر عليه الكثير من الوقت والجهد وهو لا يتنافى مع تعاليم الدين طبقا للقاعدة الشرعية المعمول بها "ما لا يتم الواجب به فهو واجب".

ولا ننسى حضرات السادة الأفاضل في خطبنا ودروسنا حث المتزوجين على الوفاء والتماسك الأسري، أعني بذلك إيجاد صلة من الترابط الوجداني والمادي بين أفراد الأسرة الواحدة حتى تتحول الأسرة إلى الكيان الأهم في الحياة.

ففيها تنجب الذرية وفيها تربي وتنشأ على قيم الخير والفضيلة وبدخلها يجد الزوجان متعتهم وينفسان عن رغبتهما الجنسية والعاطفية، وهي التي تحمي الأفراد من الوقوع في المحرمات وتدعم المريض بالإيدز والمصاب بالفيروس وذلك باحتضانه وعدم التمييز ضده أو طرده أو حرمانه لمواصلة الحياة بصورة أفضل من نبذه من الأسرة.

2- رسالتنا إلى المجتمع في كيفية التعامل مع المتعاشين مع المرض:
إن الشريعة الإسلامية حثت على القيم الفضيلة وأمرت بما لقوله

سبحانه وتعالى : "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (النحل 90) . ومنهج الفضيلة هو الذي يرفع الطائع لتقواه ويأخذ بيد من أتبع هواه ويأمر بالطيبات وينهى عن الخبائث ويكلف بالإستطاعة لقول الله تعالى : "لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (البقرة 286). هذا وإن تعامل المجتمع مع المصابين بصورة منفردة يوجِّح العواطف السلبية من كره وغلٍّ وأحقاد في سويداء قلوبهم. فلَمَّا أن ينفجروا في دواخل أنفسهم ليخرجوا بعاهات نفسية أو محاولات انتحار، أو ينفجروا في المجتمع راغبين في إيذاء الغير رغبة في المساواة في الظلم، مع العلم أن بعض المصابين المتعاشين مع الإيدز هم ضحايا لا ذنب لهم وذلك إمَّا عن طريق نقل دم ملوَّث، وهنا يجب أن ننوّه إلى التأكيد على أهمية الاحتراز عند التعامل مع الدم ومشتقاته وإفرازات الإنسان للعاملين الصحيين، ولأنَّ أيَّ إهمال في هذا الاحتياط يعتبر من التواكل المنهي عنه شرعا وأن من يتقاعس أو يهمل ويؤدي لضرر شخصي أو عام يعتبر آثما شرعا.

(1) مع التأكيد على أهمية تحرّي الدقّة المتناهية عند إجراء الفحوصات المعمليّة على الأشخاص وعلى الدماء ومشتقاتها لأنَّ أيَّ خطأ بسيط قد يؤدي لكارثة تؤدي بحياة إنسان. (2) وإمَّا قد يتنقل هذا الفيروس عن طريق أحد الزوجين وكثيرا من الزوجات لم يتفطن إلى إصابتهنّ بالإيدز إلا بعد وفاة الزوج المصاب، (3) أو عن طريق أم مصابة بهذا الداء ونقله لجنينها.

انتبه : هذا وأنَّ عزل المصاب أو التمييز ضده ينذر بانتشار الوباء بما ينتج عنه من ردِّ فعل سلبي تجاه المجتمع فلا بدَّ من توعية أبناء المجتمع بأنَّ فيروس نقص المناعة المكتسب لا ينتقل إلَّا بسلوكيات تتعلَّق بالسَّوائل الجنسية أو اختلاط الدَّماء، وهو لا يعدي بالهواء أو السَّعال أو المصافحة والمعانقة والتقبيل، وهو لا يعيش في أجسام الحشرات كالبعوض والذباب ولا يمكن لهذه الحشرات أن تنقله.

لذا لا يحتاج مريض الإيدز للحجز أو العزل الصحي، وهذا لا ينطبق عليه قول الرسول عن الطاعون : "إذا سمعتم بالطَّاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها" (البخاري ومسلم). وبسبب الوصم والإدانة التي توجَّه إلى هؤلاء هم يختفون عن الأنظار وبالتالي يزداد انتشار المرض في الخفاء.

سؤال : هل وقوع الإنسان في خطأ يعني احتقاره ونسيانه وطرده من نسيج المجتمع المسلم ؟

أم أنَّ الواجب يفرض علينا أن نأخذ بيده ونحثه على الطاعة ونذكَّره بحقِّ الله تعالى عليه ووجوب الرّجوع إلى ربِّه. وصدق الله تعالى القائل: "وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" (النور 31).

ملاحظة : إنَّ مريض الإيدز "قد يصبح ضعيفا فيطرده الموحِر من البيت أو صاحب العمل من عمله وقد ترفض الأسرة أن تتعايش معه لأنَّه مصاب بالفيروس، وهذا يتنافى مع قيم الإسلام السَّميحة الدَّاعية على دعم المريض ماديا ومعنويا وإعالة المحتاج وكفالة اليتيم والإعراض عن

التصنيف وهتك الأعراض، إنّ المتعاش مع آفة السيدا له الحق في أن يتلقى العناية والاحترام والحنان اللازم كما له الحق في معرفة أنه مصاب مع عدم إفشاء وله الحق في المشاركة في كلّ أنشطة المجتمع التي لا تؤثر عليه أو على المجتمع سلبا من عمل وتعليم وتواصل مع أسرته ومجتمعه، مع التأكيد على إنسانيته وحقه في الحياة بصورة تكفل له احتياجاته الاجتماعية والصحية والاقتصادية ... هذا وأن واجب المجتمع تجاه مريض الإيدز والمصاب بالفيروس هو واجبه نحو كلّ مريض آخر لقوله سبحانه وتعالى : "وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة 2) وبحث الإسلام على الإتحاد والتعاون بغية مواجهة المرض ومساعدة الأشخاص المستضعفين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل المؤمنين في توادهم وتواحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (الطبراني) ومن حق المتعاش مع المرض أن نحفظ كرامته مهما كان سبب انتقال الفيروس وعدم السخرية منه لقول الله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب" (الحجرات 11). وإذا رأيت المصاب فقابله بوجه طلق مع ابتسامة حنونة لعلها تكون سببا في توبته وتقبله للتوجيه والإرشاد.

رواية : فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله : "لا تحقرن من

المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (مسلم)، بادر إلى مصافحته والسّلام عليه والردّ على تحيته بمثلها أو أحسن منها لقول الرسول (ص): "يا أيها الناس أفشوا السّلام وأطعموا الطّعام وصلوا الأرحام وصلّوا والناس نيام تدخلوا الجنّة بسلام" (الترمذي)، ولقوله أيضا: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلّا غفر لهما قبل أن يفترقا" (أبو داود). هذا وإذا كانت الرّحمة مطلوبة عامّة فإنّها مؤكّدة نحو المتعاش مع المرض، لقول الرّسول "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" (متفق عليه). ومن هذه الرّحمة زيارته والدّعاء له، لقول الرّسول: "عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكّوا العاني: (البخاري) ولا ننسى ضرورة تقلص الدّعم المادّي لهؤلاء المرضى وخصوصا المستضعفين منهم والذين لا يستطيعون التّكفّل بحالتهم وحدهم وذلك انطلاقا من مبدأ الإيثار في الدّين الإسلامي قال تعالى: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان هم خصاصة" (الحشر 9) هذا وأنّ الدّعم المادي للمتعايشين مع المرض يدخل في الإطار العام لمفهوم الصّدقة الواجبة في الإسلام. لقوله تعالى: "وتعاونوا على البرّ والتقوى"، ولقول الرّسول: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفع" (مسلم وابن ماجه) إذن من حقّ مريض الإيدز التّمتّع بكافة حقوقه الشرعيّة من عمل وتعليم وصحّة وتنقّل واندماج في المجتمع فهو إنسان مكرّم سواء كان مسؤولا عن إصابته بالمرض أو غير مسؤول.

3- رسالتنا إلى المتعايشين مع المرض :

إذا اكتشف الإنسان أنه مصاب بالإيدز من خلال تحليل الدَّم قد يسبّب له ذلك صدمة عنيفة ثمّ لأسرته، ورسالتنا إليه تتمثّل في التذكير بأنّ المرض ابتلاء ربّاني حتّى وإن كان ناجما عن سلوكيات الفرد نفسه، لذا وجب التذكير برحمة الله ووجوب العودة إليه لقوله سبحانه وتعالى: "ففرّوا إلى الله" (الذاريات 50). والابتلاء من سنّة الله في الحياة يتّلي عبادته بما يشاء ومتى يشاء وكيف ما شاء.

ويعتبر هذا المرض في حقيقته امتحانا وتمحيصا فإذا صبر العبد واسترجع ولم يجزع أثابه الله ثواب الصّابرين، ولنتذكّر قوله تعالى: "فإنّ مع العسر يسرا إنّ مع العسر يسرا" (الشرح 5). ومن هنا وجب علينا شحذ الهمم وتقوية القلوب بالإيمان واللّجوء إلى الله بحيث يعتبر مفتاح النجاة من كلّ داءٍ والعافية من كلّ بلاء.

ARCHIVE
http://Archivebata.Sakhril.com

التذكير بضرورة الإكثار من الدّعاء:

فالدّعاء يصطّرع مع البلاء وهو من قدر الله فلا يليق بالمصاب أن ينسى ويترك ما يحبه الله منه وهو القائل سبحانه وتعالى: "وقال ربّكم ادعوني استجب لكم" (غافر 60) والقائل: "أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء" (النمل 62).

هذا وأنّ للصّبر مكانة رفيعة في تعاليم ديننا السّميحة واعظم صبر المصاب بالإيدز عند سماع نبأ تحقّق إصابته أن يدعو بالدّعاء المأثور "اللّهمّ أجربي في مصيبي واخلف لي خيرا منها" ولندكره بقول نبينا الكريم: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتّى

يلقى الله وما عليه خطيئة" (الترمذي) وصدق الله القائل : "إنما يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب" (الزمر 10).

المطلوب منا أيضا أن ننمي روح الأمل والشفاء في نفس المصاب لقوله تعالى "لا تقنطوا من رحمة الله" (الزمر 53) ومن هنا يوصي الرسول بالتداوي من المرض بقوله "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء" (البخاري) وما على المريض إلا أن يسعى لتخفيف وطأة المرض باستخدام العلاجات المتوفرة والامتنال للإرشادات الطبية، لقول الرسول (ص) : "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بالغرم" (أبو داود).

ملاحظة : ولا يمكن أن ننسى ضرورة دعوة المتعاشين مع المرض بأن يعملوا على حماية الآخرين من الإصابة بالفيروس لمنع الضرر بالمسلمين وذلك تطبيقا للقاعدة الشرعية "لا ضرر ولا ضرار" . ومن هنا ينصح باستعمال الواقي الذكري عند الممارسة الجنسية مع الزوجة أو الزوج لتجنب نقل الإصابة وهذه ليست دعوة لتسهيل الفساد بل هي دعوة لحماية الآخرين.

الخاتمة : حضرات السادة الأفاضل ،

لا يخفى على حضراتكم أن الأهداف والتوجيهات المرسومة للقطاع الصحيّ بربوع بلادنا تدرج ضمن خيارات البرنامج المستقبلي لرئيس الجمهورية وأولويات سياسة الدولة الرامية إلى النهوض بالموارد البشرية وتممينها عبر توفير الظروف الملائمة حتى يتحقق سلامتها على المستويين

الصحي والبيئي. لذلك تدعّمت البرامج الصحية الوطنية وعزّز التكامل والتنسيق فيما بينها وقد تجسّد ذلك في التطور الملموس في مجال التحكم في الوضعية الوبائية والحدّ من انتشار الأمراض السّارية وغير السارية إلى جانب دعم الإحاطة بمرض السيّدا عبر دعم الإعلام والتثقيف الصحي والاتصال بالفئات المستهدفة وتطبيق الخطّة الوطنيّة حول علاج الأمراض المنقولة جنسياً بـ 75% من مراكز الصحّة الأساسيّة، ودعمًا لمجهودات الدّولة في هذا المضمار فإنّ الواجب يقتضي منا معشر الاخوة الأفاضل، ضرورة كسر حاجز الصّمت على منابر المساجد وفي أيّ مجال ندعى للحديث فيه عن كيفية مواجهة الإيدز بمبادئنا الدينيّة الأصيلة وإبداعنا المتسلّح بالعلم لا ابتكار طرق جديدة للتعامل مع هذا التحديّ الخطير.

هذا إلى جانب التأكيد على أنّ العفة والإخلاص هما العنصران الأساسيان لدعوتنا الوقائيّة مع ضرورة تفهّمنا لدعوة الأطباء وأهل الاختصاص لاستخدام وسائل الوقاية المختلفة لدفع الضرر عن النفس والبشريّة.

هذا وعلى الله التوكّل ومنه الإعانة وما نريد إلّا الإصلاح ما استطعنا وما توفّقنا إلّا بالله.

الظاهرة الدينية في كتاب:

"الفصل في الملل والأهواء والتحلل"

لابن حزم الأندلسي (2)

بقلم الباحث: صالح الأحدي

I إبطال عقائد المخالفين من فرق الديانات التوحيدية (يهودية،

مسيحية وإسلامية)

1) في الكلام على الفرق اليهودية

ثم يمرّ من الكلام عن أهل الأهواء وخروقاتهم المخالفة للعقيدة ليتكلّم عن ملّة اليهود والفرق التي افترقت عليها وهي عنده خمس فرق: السامرية: "... لا يعرفون حرمة بيت المقدس، ولا يعظمونه ولهم تورا غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام... ولا يقرّون بالبعث البتّة وهم بالشّام لا يستحلّون الخروج منها ثم فرقة الصدوقية ينسبون إلى رجل يقال له صدوق، والعنانية: أصحاب عانان الداودي اليهودي، والربانية: هم القائلون بأقوال الأخبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود، والفرقة الخامسة وهم العيسوية: أصحاب أبي عيسى الأصبهاني¹ ويجادل ابن حزم اليهود أولاً في مسألة النسخ لأنّ قسماً منهم أبطله ولم يجعله ممكناً

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والتحلل ج1/ 177/ 178

وقسما آخر قالوا بإمكانه، إلّا أنّه لم يقع. ومن قُمة راح ابن حزم يضع حجج اليهود في هذه المسألة ثم يرد عليها بما عنده من أدلة عقلية ونقلية أغلبها من القرآن والسنة ليصل بعد ذلك إلى الكشف عن أكاذيب وتناقضات واضحة في التوراة يعتبرها من الضلالات التي قد وضعها الناس كذبا وبهتاناً وليست من كلام الله مثل " ادّعاء التوراة أنّ آدم إله من الآلهة (الإصحاح 3 سفر التكوين) يقول ابن حزم في ذلك: >>ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أنّ الذي خلق آدم لم يكن إلّا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم ...<<² فهو يستعرض فصولاً مما يراه بهتاناً وكذباً وارداً في التوراة ويردّ عليها من خلال عقيدته الإسلامية ومن خلال ثقافته وأطلاعه على أتباع هذه الملة، ولا يكاد يخلو ردّ من ردوده من الجرأة في النقد، ومن الحدة في إبطال هذه الأكاذيب، وهو يدافع عن الذات الإلهية، من شبهات اليهود، وعمّا ألحقوا بالأنبياء من الإساءة في توراتهم، إنّه يسعى إلى تنقية الدين "الإنساني" من شوائب اليهود المدونة في التوراة والتي تؤذي كل ذي فطرة سليمة من ذلك مثلاً أنّ >>تَمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَحْبَارُهُمْ، أَنَّ مَنْ شَتَمَ اللَّهَ وَشَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ يُوَدَّبُ، وَمَنْ شَتَمَ الْأَحْبَارَ يَمُوتُ أَي يَقْتُلُ. فَأَعْجَبُوا لِهَذَا، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مَلْحَدُونَ لَا دِينَ لَهُمْ، يَفْضَلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<<³

² - المصدر نفسه ص 207

³ - المصدر نفسه ص 325

ثم يواصل في شتمهم بالفاظ نائية تدلّ على أنّ الرجل أفرعه ما جاء به هؤلاء الأبحار في توراتهم يقوّض العقيدة الصّحيحة فكان ردّه عليهم دفاع وتصحيح، إنّها ملّة نخبط في كثير من المواضيع التوراتية ممّا جعل ابن حزم لا يتوانى في لعنهم ونعتهم بصفات قبيحة، لا تترك للجدال مجالاً ولا تفتح للحوار ثقباً، بل إنّ سبل التواصل معهم تغلق حتى يرجعوا عن هذه الأكاذيب، إنّهُ فعلاً طرح إشكالي ينطلق من أبعاد عقائدية لاهوتية ليغمر الجوانب الحضارية الإنسانية. وقد يحيل هذا الطّرح على السؤال التالي: إذ، كيف يضمن التواصل الحضاري البشري في ظل الحضور الدّافق للخلافات حول الظاهرة الدينيّة؟ ألا يمكن أن يكون الدّين - على اختلاف تطبيقاته - نقطة التقاء بين أفراد الإنسان الواحد؟

ARCHIVE

<http://Archive.org/Saahri.com>

(2) في الكلام على الفرق التّصوّاتيّة:

يتوسّع ابن حزم في هذا المبحث بذكر فرق التّصاوي واعتقاداتهم، فذكر الكثير من الفرق، وأماكن انتشارهم "ومذهب جميع نصاري إفريقيا وصقلية والأندلس وجمهور الشام" وذكر عقائدهم، من ذلك مثلاً فرقة اليعقوبيّة فقد انتشرت كما ذكر ابن حزم في أعمال مصر والحبشة... وعقيدتهم أنّ >> المسيح هو الله تعالى نفسه، وأنّ الله تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب وقتل، وأنّ العالم بقي ثلاثة أيّام بلا مدبّر، والفلك بلا مدبّر، ثم قام ورجع كما كان وأنّ الله تعالى عاد محدثاً،

وَأَنَّ المحدث عاد قديماً، وآله تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به⁴ وإنه اعتقاد شنيع سخيف لا يسعه عقل عاقل كما يذهب إلى ذلك ابن حزم وإنما ذكره في معرض حديثه عن النصارى ثم حصّن نفسه وحصّن من على عقيدته بذكر آيات من القرآن "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ"⁵ وقوله تعالى "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ"⁶ إنها حجج نقلية يردّ بها على هذا الاعتقاد.

ثم يعقبها بحجج عقلية تفسد ادّعاءهم، وهو منذ البداية يتبرأ من هذا الاعتقاد ويشنّع به ثم يواصل الحديث عن عقيدة التثليث وما لفّها من شبهات مستندا إلى الإنجيل مرّة والعقل والمنطق مرّة أخرى. إنه يقيم جدلاً ليطل في نهايته ما يراه فاسداً في عقيدة النصارى من ذلك إفساد >> شرائعهم التي هي دينهم غير مأخوذة عن نبي أصلاً فهي معاصي مفتراة على الله عزّ وجلّ ييقين لا شك فيه. وبالله تعالى التوفيق.<<⁷ أمّا من أنكر النبوة وأقرّ بوجود الخالق فإن ابن حزم يذكر أنّه عقد معه مناظرة كان المنتصر فيها - طبعاً - بقوة حجّته ونصاعة براهينه >> رأينا من يقرّ بالخلق تعالى ولا يقرّ بالنبوة، ومن يذهب إلى ذلك، وناظرناه على ذلك، فقلت: إنّ الذي تقول ممكن في قوة الله تعالى،

- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 1/ 111⁴

5 - المائة: 17

6 - المائة: 116

7 - المصدر نفسه ص 130

والذي نقول نحن من أنه تعالى خلق من النوع الإنساني ذكرا واحدا وأنثى واحدة تناسل الناس كلهم منهما لا يمكنك إجراجه عن الإمكان، فمن أين ملت إلى تلك الحيشة دون هذه؟ فتردّد ساعة فلمّا لم يجد دليلا قال: فمن أين ملتّم أنتم إلى هذه الحيشة دون تلك؟ فقلت: لبراهين ضرورية توجب ما قلنا وتنفي ما قلتم⁸ ويذكر ابن حزم براهينه أمام مخالفه، مع ملاحظة أنه لم يذكر اسمه ولا درجة علمه ولا موطنه، وإنّما هو مجادل يظهر للقارئ أنه مفترض يحضر أمام ابن حزم موقفا مخالفا لا غير، في صيغة المخاطب المفرد التي توحى بدونية ونقص مكانته وجهله ويردّ ابن حزم بصيغة المخاطب الجمع التي توحى بمهية وعظمة وعلم هذا المخاطب. وأيضا عندما يتكلّم ابن حزم عن رأيه فأنه يستعمل صيغة المتكلّم الجمع (نحن) وقد يوحى هذا الأسلوب في عرض الآراء المخالفة سواء وقعت المناظرة - وهو الأرجح - أو لم تقع وإنّما تفترض. والجدل الدّيني إنّما هو قائم على خلفيات ومرجعيات منها الظاهر وهو الدّفاع عن العقائد وتزيه الذات الإلهية عن الشرك، ونبذ أنواع الاختلاف وترسيخ قيم الوحدة والتسامح ومنها الملفوف الباطن وهو ما لا ينطق به المجادل عادة، وإنّما يستبطنه مستشرفا إيّاه من وراء عقد المناظرات أو الجدل، الذي ينتهي بزرع الحقد والكراهية ويزيد في التفرقة ويغذي الخلافات، إنّ الجدل الذي يتصب طرفاه متحفزا كلّ منهما لتكذيب الآخر، ورشقه بالتهم، فتكون ساحة المناظرة منبعا للفن

ومصدرا لخلافات على خلافات، البقاء فيها لسليط اللسان والتهاية فيها لضعيف البيان. والحال أن الله واحد، والدين واحد، والإنسان واحد ثم المصير واحد، فلا يكون الاختلاف إلّا من أجل الاتفاق، ولا يكون الفراق إلّا من أجل اللقاء. فمهما اختلفت الأهواء والملل والتحل فإلّما مصدرها "الإنسان الواحد" الكافر - المؤمن/ المذنب - التقى/ العالم - الجاهل، فإلّما تلحق به هذه الصفات بحسب واقعه، بل بحسب نظر الآخر إليه.

3) في مقارنة الديانات التوحيدية الثلاثة

وفي حديثه عن التصاري تعرّض إلى الأناجيل الأربعة (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) واعتبر أن هذه الأناجيل ليست من عند الله وبالتالي لا يمكن أن تعتمد في التماس العقيدة والدين، وكذلك -
 الرسائل يقول ابن حزم: >>وأما الإنجيل وكتب التصاري فنحن إنشاء الله عزّ وجلّ موردون من الكذب المنصوص في أناجيلهم ومن التناقض الذي فيها أمرا لا يشكّ كلّ من رآه في آتهم لا عقول لهم وآتهم مخذولون جملة>>⁹ وفي هذا الباب لم يورد ابن حزم البراهين التي تثبت أن الأناجيل ليست من عند الله لأنهم كفوه مؤونة ذلك وأعلنوا أنّها من تأليف البشر، وابن حزم هنا يعود إلى التوراة ليقابلها بما جاء في الأناجيل، ثم يبحث عن "مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموجود فيها" ليردّ على فسادها ويطلّنها أحيانا بما ورد فيها،

- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والتحلل ج1/ 149⁹

وأحيانا من نصوص القرآن وأحيانا أخرى بأدلة وحجج عقلية. وابن حزم في حديثه عن ملة اليهود والنصارى لم يذكر أنه ناظر أحدهم وتغلب عليه وإنما يعود إلى كتبهم وينقدها ويعرض المخالف لها ليطل ما جاء فيها، خلافا لأهل الأهواء (السفسطائيون مثلا...) فإنه لم يذكر لهم كتباً وإنما ذكر لهم مواقف وآراء، وأحيانا يناظر أحدهم. أما اعتراضات النصارى فإن ابن حزم يتركها تمرّ دون أن يبرهن على فسادها (مثل اختلاف القراءات عند المسلمين). فهو يقول: >> هو اتفاق منا صحيح <<¹⁰ وفي ما يتعلق بتمسكهم بقول الروافض فذلك أمر يردّ عليه ابن حزم بالعودة إلى تاريخ الخلافة وما حدث فيها من خلاف فيذكر الذين خرجوا في عهد أبي بكر (المرتدين) عن الإسلام ومقاومة المسلمين لهم، ويذكر أن المسلمين كانوا على ملة واحدة في عهد عمر وكذلك عثمان إلى أن توفي هذا الصحابي الأخير >> (وابتداً أمر الروافض <<¹¹، وبين كيف تمّ نقل القرآن وأمور الذين عامّة عند المسلمين مقارنة بنقل أرباب الديانات الأخرى. والنقل عند المسلمين كما ذكره ابن حزم أقسام: منها نقل القرآن وما فيه من شرائع، كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الأحكام الشرعية و"سائر ما هو في نصّ القرآن مقروء ومنقول، وليس عند اليهود ولا عند النصارى من هذا النقل شيء أصلاً، لأنّ نقلهم لشريعة السبّ

10 - المصدر نفسه ص 162

11 - المصدر نفسه ص 165

وسائر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلى التوراة ويقطع عن نقل ذلك ونقل التوراة إطباقهم أن أوائلهم كفروا بأجمعهم وبرثوا من دين موسى عليه السلام، وعبدوا الأوثان علانية دهوراً طوالاً، ومن الباطل المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان وأمتة كلها معه، كذلك يقتلون الأنبياء ويخنقونهم، ويقتلون من دعا إلى الله عز وجل، يشتغلون بسبت أو شريعة مضافة إلى الله تعالى، هذا الكذب الذي لا شك فيه. ومن أنواع النقل، نقل السيرة النبوية وما تعلق بها من كرامات وآيات ظهرت يوم الخندق وفي تبوك بحضرة الجيش... ويعتبر ابن حزم أن هذا النوع من النقل لا يوجد منه شيء عند اليهود والنصارى أصلاً، ومن هذه الأقسام نقل السنة أو الحديث النبوي وهو "نقل خصّ الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غصّاً جديداً على قلم الدهور... هذه الأقسام الثلاثة هي المصادر الأساسية للدين عند ابن حزم الظاهري وما سواها فإنه مردود عنده يقول >> هذه الأقسام الثلاثة هي التي نأخذ ديننا منها، ولا نتعدّها إلى غيرها<< ¹² رغم أن بقية المذاهب السنية الأخرى والشيعية تتوسّع في اعتماد مصادر فرعية يتطلّبها الواقع المتغيّر إلا أن ظاهرية ابن حزم قطعت به عن اعتماد هذه المصادر في الملة الإسلامية - الواحدة - وفي معرض حديثه عن بقية الأقسام (المصادر) يوازن ويقابل مع النصارى واليهود ليبرهن أن ما ينكره على أصحاب المذاهب الإسلامية المخالفة للمذهب الظاهري من أنواع النقل فإن فيه

12 - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والتحلل ج 2 / 13

ما يشبه >> صفة جميع نقل النصارى واليهود لشرائعهم مما ليس في التوراة <<¹³ إنها مقارنة يضع من خلالها ابن حزم نقل الدين أي منبع حضور الظاهرة الدينية بين الناس، واختلافها من ملة إلى أخرى، ومن فرقة إلى أخرى. وفي هذه المقارنة يختار ابن حزم "ركنا أميناً" يأوي إليه ويطبق دون ظاهريته عن كل ما سوى ظاهر النص، بل يرشق المخالفين بتهم الكفر وما من جنسه، بحسب قريحهم وبعدهم من رأيه وملته. ومن المسائل التي طرحها في كتابه بيان أن الأرض كروية الشكل" وتضافرت النصوص النقلية (آيات وأحاديث) للبرهنة على ما ذهب إليه، وردّ على من قال بأن "البراهين قد صحّت بأن الأرض كروية والسماء كذلك... >> وعلى من حدّد للدين مدّة معينة من اليهود والنصارى وغيرهم من المسلمين سوى الظاهرية التي لم تجد في النص ما يثبت أقوال القائلين بذلك. "فإن اليهود يقولون: للدين أربعة آلاف سنة، والنصارى يقولون للدين خمسة آلاف سنة، وأمّا نحن فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا. ومن ادّعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب، وقال ما لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح، بل صحّ عنه عليه السلام خلافه، بل نقطع على أن للدين أمدا لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ" <<¹⁴. ويطلبنا ابن حزم بين تضاعيف كتابة "الفصل" أحيانا بأنه كان يجالس بعض المخالفين له ويناقشهم في قضايا دينية فهو

المصدر نفسه ص 211¹³- المصدر نفسه ص 216¹⁴

يذكر في سياق حديثه عن الجزء في الآخرة: >>وعارضني يوما نصراني كان قاضيا على نصارى قرطبة في هذا وكان يتكرر على مجلسي فقلت له: أليس فيما عندكم من الإنجيل أن المسيح صلى الله عليه وسلم قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح، وفيها أخذ بزعمكم، وقد سقاهم كأسا من حمر قال: "إني لا أشرها معكم أبدا حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله تعالى... وهذا نصّ على أن في الجنة شرابا من ماء وحمر، فسكت النصراني وانقطع. وأما التوراة التي بأيدي اليهود فليس فيها ذكر لنعيم الآخرة أصلا ولا لجزاء بعد الموت البتة>>¹⁵. إننا صورة حياة عن التعايش بين المسلم والنصراني في ظل الحوار والمجالسة، وربما الموانسة رغم الاختلاف في الملة.

في الكلام على الفرق الإسلامية

يعود ابن حزم إلى من أنكر النبوة والملائكة (من أهل الأهواء) ثم أبطل آراءهم واعتبرها فاسدة وبين حقيقة النبوة وضرورتها حتى يزول من نفوس هؤلاء وغيرهم الشك في ضرورة النبوة، وتؤكد لديهم الحاجة إلى إرسال الأنبياء والرسول، وكعاداته نجد ابن حزم يأتي ببراهين تدلّ على صدق وصحة رأيه، يريد أن يسدّ بذلك معارضة كلّ معارض تحدّثه نفسه بغير ما ذهب إليه هو، وفي كلامه عمّن " قال إن في البهائم رسلا" أشار إلى أحد تلامذة إبراهيم النظام وهو (أحمد بن خباط) واعتبره من الكفار >>لأنه يقول أن الله عزّ وجلّ نبأ أنبياء من كلّ

نوع من أنواع الحيوان، حتى البق والبراغيث والقمل وحبته في ذلك قول الله تعالى: " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ " ¹⁶، ثم ذكر قوله تعالى: " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " ¹⁷ < ¹⁸ وأسهب ابن حزم في إبطال وإفساد هذا الادعاء براهين عقلية وحسية ونقلية من القرآن والسنة والشعر العربي، لعل القارئ تحذنه نفسه بالإعجاب بهذا الرأي المخالف للعقيدة الإسلامية فيلزم الحذر منه لأنه خلط وحنون... وفي فصل آخر يرد ابن حزم على من زعم من أهل الأهواء أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا. وفي نظره هي مقالة غبيشة مخالفة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام... ويتعوز منها ومن قائلها >> هذا القول هو كفر صراح لا تردّد فيه << ¹⁹ ويكفي كردّ على ذلك أن الله تعالى قد قرن اسمه برسوله في الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) ثم يأتي ابن حزم بحملة من الآيات القرآنية تبطل ادعاء هذه الفئة ومن أهل الأهواء أيضا من قال بتناسخ الأرواح وهم فرقان:

16 - الأنعام: 38

17 - فاطر: 24

18 - المصدر نفسه ص 223

19 - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والتحلل ج 2/ 258

ذهبت الأولى منهما إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وذكر ابن حزم أصحاب هذا القول بالهوى (أحمد بن حنبل - أبو مسلم الخرساني - محمد بن زكرياء الرازي الطَّبِيب - وهو قول القرامطة من الإسماعيلية - وغالبية الرافضة). أما الثانية فقد ادّعى أصحابها أن >>النسخ لا يكون إلّا في الأنفس فقط، فنجد الإنسان يتخلّق بأخلاق غير نوع الإنسان<<²⁰ وهي كما يرى ابن حزم دعاوي وخرافات بلا دليل، وإثما الأدلة على بطلان هذه الخرافات في القرآن كثيرة وفي العقل والحسّ أيضاً، ومن الذين اعتمدوا أهواءهم في الوصول إلى الحقيقة بعض المنتمين إلى الفلسفة بزعمهم **فأنكروا** الشرائع وقد تكلم عليهم ابن حزم وبين قيمة الفلسفة ودورها في إصلاح النفس باعتبارها مبنية على الفضائل ونبذ الرذائل، والشرائع إنما غايتها صلاح الناس في أحوالهم الدنيوية وفي معادهم الأخروي.

أما الفرق الإسلامية عند ابن حزم خمسة وهم: أهل السنة، المعتزلة، المرجئة، الشيعة والخوارج. وقد تفرّعت هذه الفرق إلى طوائف أخرى ويذكرهم ابن حزم بحسب قربهم وبعدهم من أهل السنة. ولكلّ فرقة من هذه الفرق أسسا يعتمدونها في قضايا العقيدة والإيمان قلما تتفق وكثيرا ما تختلف ممّا جعل ابن حزم يخرجهم عن دين الإسلام لما ابتدعوه في الدّين ممّا ليس فيه، وإنما قالوا بأهوائهم وأضلتهم بعض الآراء الدخيلة

من أصحاب الملل الأخرى والتحل الخارجية. فأصبحت فرقا مارقة عن ظاهر النص قال ابن حزم: >>قد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق في كتاب لنا لطيف اسمه: النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع: المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة>>²¹. أما أهل السنة وهم "أهل الحق" وما عداهم أهل البدعة "فإنهم الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك لمحجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث ومن أتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا....، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم" هم أهل الحق والرضا، عامتهم وخاصتهم. يفضل العامي منهم على العالم من غيرهم لأنه يخرج على النص ويضيف إلى الدين ما ليس منه !! وهذا ذنب يدين به ابن حزم أهل الزيغ والبدع، ويقبح آراءهم، ولعل هذه الفرق المنتمية إلى ملة الإسلام والتي تشهد كما يشهد ابن حزم بوحداية الله ونبوة رسوله وبالقرآن وحيا منزلا عليه، لا تختلف البراهين الموصلة عنده إلى الحق، ولذلك نجده في كتابه "الفصل" يعقد كلاما مطولا يجادل فيه آراء هذه الفرق وما ذهب إليه واعتقادهم وتصوراتهم للذات الإلهية والصفات وتسمية الله بغير نص، إنها خلافات كلامية يطرحها ابن حزم بطريقته الخاصة (ذكر الاعتراض أي الرأي المخالف ثم إفساده والبرهنة على خلافه) وكل ما تعلّق بالعتيدة أساسا (أركان الإيمان) الإيمان بالله والملائكة والكتب

والرسل واليوم الآخر والقدر وما نشأ حولها من فهم متباينة اقتضتها طبيعة واقع الطرح، ولأنَّ كلَّ فهم هو اجتهاد يؤخذ ويردّ، هو رؤية خاصّة تحمل الذاتية الثقافية والاجتماعية والسياسية. وهنا يجوز التساؤل عن سبب إقصاء موقف أو رؤية دون أخرى؟ وإن جاز الإقصاء، فكيف يمكن لفهم أو قراءة أن تعرّض فهم آخر؟ يعني بمنطق آخر إن التعسّف على الرأي المخالف لا يورث إلا نتيجة عكسية وهذا ما شهدت به القرائن التاريخية. ولعلّ ابن حزم من الذين وجدوا عنة في حياتهم بسبب حدة قلمه في مواجهة الآخرين وكذلك لسانه. وقد يطمئنّ المطلّع على كتاب الفصل في الأقسام الأولى منه، ظنّا منه أن الرّجل أفحش في ردّه على أهل الملل الأخرى وأهل الأهواء المخالفة للمسلمين فقط — لأنهم خارجين عن ملته — ولكن حدة اللسان شملت كل من قال برأي في الدّين خلاف الظاهرية، مسلماً كان أو غيره.

خاتمة

كتاب الفصل يزخر بمادّة معرفيّة تتعلق بحضور الظاهرة الدّينية في فكر ابن حزم، إنّه حضور يقطع مع التعدّدية ويلمح على الأحادية "لأن الدين واحد" أي واحد في مصدره وواحد في غايته، وقد يجوز لنا هنا أن نسأل ابن حزم أسئلة يظهر أنّها إشكالية: ألم تكن لكلّ ديانة نواحي اعتقادية وتشريعيّة خاصّة بها؟ ثم ألم ترتبط بداية الدّين ببداية الحياة البشريّة فمئذ خلق الله آدم بيّن له الطريق إلى معرفته؟ يعني أليس الدّين منهج حياة وطريق وسلوك؟ هل معرفة الحق تقتصر على تلك البراهين

التي تصدرت كتاب "الفصل"؟ هذه أسئلة وغيرها قد تطرح على ابن حزم وعلى من يرى رأيه. ومهما كان قصد ابن حزم من تأليف كتابه هذا فإنّ طرحه للظاهرة الدنيّة فيه يحيل على ثقافة وسعة اطلاع الرّجل على "الملل والنحل" والأهم أنه يمدّ المطلّع والقارئ بحقيقة مشغل يورّق الباحثين في حضور الظاهرة الدنيّة عند العلماء والفقهاء المسلمين، أو بالأحرى حضور هذه الظاهرة وكيفيّة تناولها في التراث العربي الإسلامي الذي يتجسّد في المخزون الثقافي المدوّن في الكتب على اختلاف مذاهب أصحابها ومرجعيتها. إنه الواقع الدّيني في فكر ابن حزم وبحسب منهجه. وقد ندقّق في الواجهة الأخرى الخفيّة لحضور الظّاهرة الدّينية في كتاب "الفصل" فنجد فيها مقاربة هي في أصلها مقارنات ومقابلات رسمها ابن حزم بين مذهبه الظاهري وخلافه من المذاهب والديانات والأهواء الأخرى، وإن كانت لا تخرج هذه المقارنة عن طبيعة الحياة الثقافية في مجتمعه المتميّزة بالأنشطة المكثّفة للمناظرات والجدل، فإنّها سجلت حضور الآخر في كتاب ابن حزم، بل إنّ الرّأي المخالف يطرح أوّلاً في شكل اعتراض ثمّ يأتي الرّأي الظاهري (ابن حزم) ليفسده ويطلّعه ويرهن على ذلك. ويمكن هنا أن نعتبر ذلك اعتراف بوجوده رغم معارضته والردّ عليه، فذكره هو دليل مشروعته، إنّها حقيقة تلك الواجهة الخفيّة لمعالجة الظّاهرة الدّينية في كتاب "الفصل".

حسني لبيب والقص الاجتماعي

بقلم : محمد حجاج

(القاهرة)

تعد "الكرة تختفي في الأعالي" المجموعة القصصية السادسة للقصص حسني سيد لبيب، وقد صدرت ضمن سلسلة "أصوات معاصرة" في القاهرة، وتضم سبع عشرة قصة، كتبت على مساحة زمنية ممتدة، تزيد على أربعين عاما، فكان طبيعيا إزاء ذلك أن تتنوع مناهج الكتابة في قصص المجموعة، بدءا من الاتجاه الواقعي بثبات مفرداته وتحددتها وتسلسل الزمن فيه وتواليه تراكميا، والذي جاءت به معظم قصص المجموعة، مروراً بمحاولة التطوير والتسامي في أسلوب الصياغة كما في قصة "الزمن.. والبرق.. والفارس" ولنلاحظ ذلك التسامي بدءا من عنوان القصة، ووصولاً على محاولات التحريب والكتابة في مناخ سيرالي كامل، كما في قصة "ثلاثة مقاطع كروية" إضافة على قصة "الكرة تختفي في الأعالي" التي هي عنوان هذه المجموعة.

هذا من حيث الشكل: أما من حيث المحتوى أي المضامين التي يطرحها الكاتب في قصصه، فهي تتنوع أيضا، إلا أن الكاتب رغم ذلك يركز على موضوعات وشخصيات معينة هي التي تظالنا في معظم قصص المجموعة، والتي سنحاول أن نستعرض بعضها هنا.

ففي القصة الأولى "الأولاد الذين سرقوا الكرة، نرى أسرة مصرية

تقليدية "سالم" الزوج وزوجته "سيدة" والتي انغمست تماما، بعد الزواج، في أعمال البيت إضافة إلى متاعب العمل والوظيفة، وأهملت نفسها كامرأة، حتى أنها رفضت أن تخرج مع الزوج والأبناء للتزهر في تلك التزهة المصرية الموسمية في عيد الربيع، يوم "شم النسيم"، فخرج الزوج وطفليه "منى" و"طارق"، وهناك في حديقة "حروبي" يتم تعارف الزوج بمخى الشابة الحسنة، حيث أحس من سماعه لحدثها الممتع بـ "أريج عطر تنتشى به نفسه بعد طول جذب" ويعود إلى منزله بعد أن تحركت المشاعر الكامنة لديه، بل ويتمنى أن يعود إلى عهد الشباب والطفولة، لكي يلعب الكرة مع أبنائه، إلا أن الزوجة التي ربما لاحظت شيئا على تصرفات زوجها سرعان ما تفيقه من تهورماته على حقيقة مقلقة، هي انه رب أسرة، ومسؤول عن أبناء وزوجة، قائلة له إن الزمن لا يرجع إلى الوراء وإن الأولاد قد سرقوا منهما الكرة، وليس من الضرورة أن تكون الكرة هنا كرة حقيقية، إنما هي رمز للطفولة والشباب، وربما العمر كله أيضا.

وفي قصة "الصديقان" فإننا نرى زميلي دراسة، أقام كل منهما علاقة بزميلة لهما "سلوى"، بعد تخرجهم في الجامعة، أحبها الأول "فوزي" ورحل للعمل في إحدى مدن الجنوب في مصر، ولعلها هي أيضا أحبته، في حين خطبها الثاني "صفوت" قبل أن يسافر في بعثة إلى أوروبا لإتمام دراسته هناك، وكان على الاثنين (الشابين) أن يواجهها تلك المعضلة، التي لا تحل بطبيعة الحال إلا بانسحاب أحدهما من الساحة، وذلك ما

فعله "صفوت" لصالح صديقه "فوزي" .. كتضحية من جانبه بعد أن عرف بقصة الحب بين صديقه وزميلته.

أما في قصة "الزمن .. والبرق .. والفارس" فنرى فتاة في عمر الزواج "لمياء"، يتقدم لخطبتها شاب تراه الأسرة مناسبة لها، خاصة وأنها قد أتمت الخامسة والعشرين من عمرها، إلا أن الفتاة تقارن بين صفات ذلك الشاب ومزايا فارسها الذي لا يفتأ يزورها كثيرا في أحلامها، راكبا جواده الأشهب فـ "يخطفها من فراشها، وتركب معه الجواد ويحيطها بذراعيه القويتين، وينطلق الجواد سريعا بهما ويتطاير شعرها على الورا، وحيث أن نتيجة المقارنة تبيح لصالح فارس الأحلام فإن الفتاة ترفض هذه الخطبة.

وفي القصة السابعة من المجموعة، فإن الدور يجيء على واحد من الشباب ليقع في دوامة الحيرة في الاختيار بين فتاتين ليتزوج إحدهما، "نعمات" ابنة خاله التي سبق أن رشحتها له أمه ورضى بها، و"هدى" التي تعرف عليها بواسطة ابن عمه "ممدوح" والتي يميل قلبه إليها، إلا أنه بسبب ترددده وضعف شخصيته لا يستطيع أن يتخذ قرارا حاسما، فـ "هدى" تنتظر أن يتوج الحب بالزواج، ونعمات تنتظر منه أن يبر بوعده، وأمّه أيضا تنتظر ولا تشك في صدق نواياه نحو ابنة خالهن أي أن الجميع ينتظرون، والقصة عنوانها : "الانتظار".

أما قصة "إمام" فإن الأم فيها إضافة إلى الأب - الذي كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وإن تمكن من جمع ثروة من عمله كمقاول للأنفار - لم

يكن لهما من هم إلا التفكير في زواج ابنتهما، والتي كانت لا تزال في مراحل التعليم، فالأم تريد تزويجها من ابن جارها في المسكن، والتي كانت لا تزال في مراحل التعليم، فالأم تريد تزويجها من ابن جارها في المسكن، والأب يطمح أو يحلم بأن يزوجه من موظف البنك الذي يتردد عليه ولا يفتأ يتذكر وقفته الذليلة أمامه بخائمه واصبع إبهامه - ذلك الإبهام الذي أضفى على القصة عنوانها - كلما ذهب لصرف أحد شيكاته من البنك.

وهكذا يمكننا بعد استقراءنا لقصص هذه المجموعة ان نقول، إن "حسني سيد لبيب" كفاص له جماعته المغمورة الخاصة به والتي يجيد التعبير عنها، وذلك تطبيقاً لمصطلح "فرانك أوكنور" النقدي، والذي يرى أن هذه الجماعة تختلف من كاتب لآخر، فهي على سبيل المثال تتمثل في الموظفين العموميين عند "جوجول"، والأطباء والمدرسين عند "تشيكوف"، وسكان الريف عند نشر وود أندرسون"، وتتمثل هذه الجماعة هنا عند "حسني لبيب" في الرجل كآب والمرأة والفتيان والفتيات كآبناء، أي جميع أفراد الأسرة، وما يدور حولهم من قضايا أسرية اجتماعية.

قراءة جديدة في:

سيرة الأميرة ذات الهممة

بقلم : حسني سيد لبيب

مراسل الإنحاف بالقاهرة

استغرقت في قراءة رواية "دماء الأميرة ذات الهممة" (1) للكاتب عماد الدين عيسى، شدت الرواية انتباهي من السطر الأول حتى نهايتها. ذلك أنما تمجد - في سردها - معاني العزة والكرامة. هي رواية فذة أصابت كبد الحقيقة. بما ترويه من صفحات مضيئة من تاريخنا، نواجه به الانكسار الذي وصم البعض بالتخاذل واللائتواء، نواجه به المخاطر المحيطة بنا، وأطماع الآخرين في احتلال الأرض أو اغتصابها. تأتي هذه الرواية لكاتب يرفض ما يحاك لوطنا من مؤامرات. يستنطق من التاريخ مواقف خالدة للبطولات العربية، تقول لأجيالنا والأجيال التي سوف تأتي من بعدنا أن للظلم نهاية، مهما استحكمت حلقات المؤامرة واستغلظ العنف.

صنع الكاتب من شخصية الأميرة ذات الهممة فضاء متسعاً لنص جيد، عن شجاعة هذه المرأة، التي تعدّ بألف رجل. تتقدم الرجال. تحارب بسيفها البتار أعداء الأمة العربية الإسلامية. يدفعها إيمان قوي بنصر الله. وفي خطوط عصرنا ونوابه، تهل علينا شمساً مشرقة، متسرلة بزي فارس شجاع، لا يعرف معنى لليأس أو الإحباط.

وإذا توقفنا عند سيرة ذات المهمة، نجد أنها تدفعنا للنظر إلى آفاق إبداعية أخرى.. "ولا يمكننا الفصل بأي حال من الأحوال بين ألف ليلة وليلة وبين كتب العجائب والكوسموغرافيا العربية التي كانت معروفة منذ القرن التاسع الميلادي. وعلى سبيل المثال وليس الحصر كتاب (أخبار الصين والهند) لمؤلف مجهول، جمع في سنة (237 هـ)، وكتاب (عجائب الصين والهند) للربان بزرج بن شهريار، وخاصة كمصدر لحكايات السندباد وبعض المغامرات البحرية والرحلات إلى بلاد غريبة. كما أنه من الممكن اعتبار ملحمة الأميرة ذات المهمة التي تدور حوادثها على الحدود بين الشام والدولة البيزنطية مصدراً لبعض حكايات ألف ليلة" (2).

يقول شوقي عبد الحكيم: "الإعتداءات والأخطار الطامعة والمتربصة ببلداننا العربية، تاريخياً، كانت على النوام القاسم الرئيسي لمعظم تركتنا الشعبية الفولكلورية العربية من السر والملاحم والقصص الشعرية المعروفة بالبلاد أو البلادة كما أسماها الكلاسيكيون العرب. وفي الإمكان تحديد ذلك العدو الطامع والمتربص بأمتنا منذ حوالي الخمسة آلاف عام، ممثلاً في الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، امتداداً إلى الحروب البيزنطية الوسطوية التي صاحبت ظهور الإسلام مع اضمحلال الخلافة الأموية في دمشق والانتقال بها إلى عباس بغداد وتورخ لهذه الحروب القارية الممتدة السيرة الفلسطينية المنشأ الأميرة ذات المهمة، والتي تعد أطول سيرة في التاريخ، إذ يصل حجمها إلى 26 ألف صفحة" (3).

تبرز رواية عماد الدين عيسى نمو "شخصية الأميرة ذات الهمة"، فاطمة بنت مظلوم - حفيدة الصحصاح بن جندبة ملك بني كلاب - وتطوراتها الدرامية. وتتجاوز السيرة الحدود المرسومة لها وتبرز نتاجا ملحما عند العرب. تبدأ أحداث الرواية بما خلفه مصرع الصحصاح من صراع بين ابنه "ظالم" من زوجته ليلي، و"مظلوم" من زوجته أمانة. وولدت فاطمة لمظلوم، وكان الأب يأمل في ابن ينصره على "ظالم". ودفع سرا بالطفلة إلى سعدة لترضعها. واغارت قبيلة طي على بني كلاب، وأسرت سعدة وربيتها فاطمة، وصارت فاطمة بنت مظلوم أمة للحارث، أحد أسياد طي. شبت على تعاليم الإسلام والأخلاق العربية. وزاولت الرياضة والفروسية. ولما ألفت بفارس من طريقها، دفع الحارث فدية كبيرة أعوزته، فردت الدين بإغارتها على القبائل المعادية وتحقيق النصر، ولقبت بعده بـ "ذات الهمة".

ثم تقاتل ذات الهمة "مظلوم" وهي لا تعرف انه أبوها، وتعود به إلى طي. وحين علمت، قالت للحارث إنه أبوها، وأعطاه حريتها. ونشب عراك بين طي وبني كلاب، انتصرت فيه ذات الهمة، ومضت بوالدها وأموالها إلى بني كلاب.

وبات ابن عمها الحارث يظلمها كعمها "ظالم"، ونازلته بالسيف فانتصرت عليه. فلجأ إلى الخليفة الذي أمرها بالموافقة على الزواج منه. كانت تميل إلى الفارس "أبو محمد"، وإن غلف عواطفه إلا أن قلبه ينبض بحبها.

رضخت لرجال القبيلة وتزوجت ابن عمها، وأنجبت منه عبد الوهاب. بدأت الحرب مع الروم وأبليت ذات الهمة بلاء كبيراً، وانطلقت إلى قلعة "ملطية" وأسرت ابنة الإمبراطور.

كما فرضت سيطرتها على إقليم "كابادوكيا". ولما طلب الخليفة تسمية قائد الجيش، ردت بأنه لن يقوده أحد سواها مادامت على قيد الحياة، اللهم إلا ابنها عبد الوهاب.

وحين استقبلت وفد حاكم "عمورية" خشيت من نقضهم العهد. وقلقت من الكاهنة "دهرشوما" وأتباعها من الزنادقة والصابئة والخوارج وعبدة النار.

وحذر الخليفة في خطابه من خطر الأعداء، فأعدت ذات الهمة الجيش، وانطلقت به نحو القسطنطينية، ففرع جيش روما واعتبأ حلف الأسوار.

ولما أحس العدو بقرب هزيمته، طالب بالهدنة واتفاقية سلام ودفع غرامة وحزيرة. ولما تولى محمد المعتصم الخلافة. عاب قاضي القضاة أن يكون قائد الجيش امرأة، لكن وزير الخليفة احتكم إلى العقل، فذات الهمة بايعت الخليفة، كما أن قومها يدافعون عن الإسلام والمسلمين، ولهم اليد الطولى في معارك العرب والروم. اقتنع المعتصم لا سيما أن بني كلاب منذ نهاية العصر الأموي يتبارون في خدمة العروبة والإسلام. كما أنهم يحرم معين للخليفة على الروم في منطقة الثغور.

وحين انعقد مجلس الإمارة برئاسة ذات الهمة في "ملطية"، أثنى الجميع

على دور المرأة. وطلبت الأميرة تفعيل دور السعيدة في مجال الدعوة الإسلامية، جنباً إلى جنب مع فروسية "ذات الهمة" في ساحة الوغى. وانشغال عبد الوهاب بالقتال الشرس في "عمورية".

رصدت لها العيون تحركات جيوش روما لغزو البلاد، لإضعاف القوة العربية قبل أن تشتد ويقوى ساعدها. وعلموا أن قاضي القضاة ضالع في تجنيد الجواسيس. أعجبت ذات الهمة بفكر السعيدة المستتر، وتحببها أن يكون للمرأة دور في رآب الصدع وتقوم الاعوجاج. وحذرت السعيدة من غفلة "المأمون" التي ستسمح بالغزو الثقافي.

استعدت ذات الهمة للزحف الشامل، على أن ينضم إليها جيش الخلافة، نحو الروم والقسطنطينية. وأخبرها الحارث عن اختطاف ابنته السعيدة. وفكرت الأميرة في حيلة لإنقاذها. وتعددت الآراء في حجم الخطر الذي يتهدد المسلمين. وطالبت الجميع بتوحيد الصفوف، حتى يمكن اقتحام عمورية والانتصار على آل يهوذا. وسعدت الكاهنة بالعون الذي قدمه لها "المأمون" قاتل أخيه، وترى أن ذات الهمة لم تخترق حصار روما. وتذكر قاضي القضاة الذي أضاعت عقله بسحرها. فقد اليقين وضاع لإيمانه، بعد أن شرب أكسير الأبدية من يدها - على حد قولها- ورأى النساء الروميات العاريات. أما سجن السعيدة فليس كافياً حتى تصبأ. وقد ساعدهم القاضي عقبة على القبض على السعيدة. ورغم تعذيب السعيدة، إلا أنها مازالت تمزأ من سحرهم وتسفّه أفكارهم. تستخف الكاهنة من صرخاتها لاستنجاح

المتعصم. فقد أخيرتها النبوة أن نصر الروم على العرب لن يكون إلا بتدمير "ملطية". وحذرت من الخطر القادم من بلاد العرب.

انزل المتعصم ذات الهمّة مكانا عزيزا من قصر الخلد في سامراء. وقالت له إنها جاءت لمواجهة محنة قريّة، فالرومان يعدّون لهجمة على بلادنا في الثغور وأراضي الخلافة. وأتاه كتاب ملك الروم وبه تهديد. فرد عليه قائلا: "الجواب ما ترى لا ما تسمع" .. ولمض صائحا: النفير.. النفير.. استعدوا للحرب". وقرر أن يكون خروجه خروج القاتل أو المقتول. وفي أتون المعركة، كان سيف الأميرة يتّارا. وقسم المتعصم جيشه على ثلاثة جيوش: الميمنة والميسرة والقلب. وانهارت "عمورية" من الداخل. وهوى سوط المتعصم على رأس حاكم عمورية. وأمر الخليفة بضرب عنق عقبة شيخ المنافقين. وطالبت ذات الهمّة باستتصال شأفة الكاهنة وزوجها حتى تتطهر الأرض العربية من الكهانة والخيانة والمهرطقة. يقتل عقبة، ويفك اسر السعيدة، ويصرع الكاهن، وتكبل زوجته الكاهنة بالقيود.

وفي آخر سطور الرواية يقول الكاتب: "على الشاشة الصغيرة بقعة دم تتسع فوق الرمال". أخرجنا الكاتب من الماضي لينقلنا على التلفاز حيث نشاهد بقعة دم فوق الرمال. إذن المعركة مستمرة، والأطماع مازالت تنغص حياتنا وتمدر إمكاناتنا. الدماء التي نشاهدها، دماء من؟ هل جرحت ذات الهمّة في نهاية المعركة؟ أم قتلت؟ ما مصيرها؟ أم هي الدماء العربية المستباحة في كل عصر؟ أم ألفا إشارة من الكاتب على أن

معركتنا مستمرة مع أعداء الحياة؟ كما أن الكاتب يستصرخ فينا النخوة العربية منذ صاحبت السعيدة: وامعتصماه.. وامعتصماه.. فأجابها: لبيك.. لبيك.. صرخة امرأة أثارت الخليفة واستجاب لها. واليوم، البون شاسع كبير.. تنتهك الأعراض، وتسال الدماء، وينكّل بالعرب، عيانا جهارا ولا أحد يستجيب، معظمنا منصرف إلى أفكار غريبة عن مجتمعه..

من هنا نحج أهمية ربط الماضي بالحاضر. أحداث الرواية تستلهم التاريخ العربي القديم، وسير ملاحنا الشعبية، التي كانت تغنى بالبطولات والانتصارات. وهي تستلهم الواقع العربي وتنتقد الهيمنة والسيطرة الأجنبية. إنه يكتب الرواية السياسية، من خلال سيرة ذات الهمة، ويضمنها مصطلحات معاصرة. كأنه يقول لنا في أسي: ما أشبه الليلة بالبارحة. إنه يخضع الأحداث لعجلة التاريخ الدوارة، المواردة.

تبدأ الرواية بتناقل الأخبار عن طريق شبكة السي إن إن، وهو تنبيه ذكي إلى أنه ينقل لنا بثا مباشرا لما يجري الآن. ينقل لنا خيرا عن ترغيب الدول للدخول في نظام العولمة، والقوة الأعظم تحدد المسار للدول لتصبح ضمن منظومة الهيمنة وأخرى رافضة تواجه العزلة، وأناشيد حماسية تردد "أجماد يا عرب أجماد".

ترد في الفصل الحادي عشر: عبارة "إشكالية تنسيق مناطق آمنة"، وعبارة "أكلوبة الحداثة المزعومة"، ومصطلح "صراع الحضارات". وفي الفصل الخامس عشر: ترد عبارة "نجاح حصار دول التحالف لبلادنا"،

و"الصهيونية اللعينة"، ومصطلح "العولمة"، والشعار الصهيوني "دولة من النيل إلى الفرات". وفي الفصل الثامن عشر: ترد مصطلحات "الشيوعية"، و"الغزو الثقافي"، و"النظام العالمي الجديد"، و"سلاح التدمير الشامل وغير الشامل". وفي الفصل الثاني والعشرين: ترد عبارة "العلاقات الانفتاحية مع روما"، والمقصود بروما هنا الغرب. وفي الفصل الثالث والعشرين: ترد عبارة "الأعشاب الخفية والوليمة المسمومة"، ولعلها إشارة إلى رواية "وليمة لأعشاب البحر" التي لاقت استياء الوسط الثقافي.

كما أنه أفاض في تفاصيل المعركة المحترمة لاقتحام المانع المائي الصعب، واقتحام عمورية، مشبها إياه باجتياز المانع المائي لقناة السويس، وعبور قواتنا له والتوغل في سيناء. والكاتب مغرم بتقريب الصورة التاريخية القديمة من الصورة الحاضرة. يصنع من الأحداث القديمة والحديثة ضفيرة متماسكة كأنه يكتب لنا عن واقع ثالث وسط بين القدم والحديث، فالكاتب يعيش تاريخه الحديث ليواجهه، ويسترجع تاريخه القديم ليستلهم منه العبرة والعظة، كأنه يقول إن ما تحقق للعرب من انتصارات مجيدة في الماضي، حري أن يجعلها تحقق للأمة المنعة والسودد.

الهوامش :

- 1- عماد الدين عيسى: دماء الأموة ذات المسة - رواية - اتحاد الكتاب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 2003 م - 160 صفحة.
- 2- د. أحمد نظمي: الحكايات ذات الأصول المصرية في ألف ليلة وليلة - بحث - من شبكة النت .
- 3- شوقي عبد الحكيم: الأساطير الخارجية.. وسونا الحرية - مقال - جريدة (الأهرام) - 13 يونيو 1999.

قراءات :

الملاك الأسود : قصّة قصيرة لـ "فوزية العلوي"

بقلم : سالم دمدود

في مكان يتكرر لشرط المكان، وفي ومضة لحظة تستعصي على حد الزمان، في هذه اللحظة القصيرة تنشأ أكوام وتهدم عوالم. ثم ينبعث طيف من خلال شفافية السكون متلفعا ببردة النور وهشاشة الروح وخفة الفراش ونزق الأطياف! يأتي الملك الأسود. هو العتمة في لا محدوديتها واكتنافها للأشياء، ولكنه مشع منير، في قلبه يقتلم ويهدر نور عجيب ويصطخب! فيستحيل العاتم مشعا، والظلمة أنوارا كاشفة. في خفة الفراش ونزقه وفي ثقل الرواسي وأبعادها. في ضالة الذرة وفي اتساع المجرّات! هو التضاد والتوازي وهو الحدود واختلاط المسافات والتحام الأشياء حتى ذوبان الفوارق وانعدامها، فلا الحدود غائبة ولا هي حاضرة. عالم يجافي مألوف الفكر ويجانب العادي والمتعارف ويظل الملك الأسود يمارس طقوسه ويشيع مفاعيله بمجرّحا بمحالات غريبة للرؤية والتصور والإدراك. يغويه النور فيقترب بانجذاب فراشة! يخافه ويتهيبه فيتعد في وهج بنفسجي الإشعاع، براعة حاملة في بواكير صيف! يهجر الطيف المكان ويكاد يترأى لنا في ناحية قصية من جنبات الروح: إن النور نوران بل أنوار متعددة ما عرفنا منها غير القليل

"لأنوار نور النور في الخلق أنوار

وللسر في سر المسرين أسرار ."

وإذا عوالم أخرى أين منها عالمنا ومعرفتنا وتجاربنا الحسية العادية!
أتى لنا أن ندركها وليس لنا علم طه ولا حكمة العلاج!..

هذا الطيف يتمخض الحيرة والشك. ويتضوع من أنفاسه إكسير
خالد جذاب، ومن بين أصابعه تنبع المعجزات والأفكار والأحاسيس
والمشاعر، في تداخل مزدحم يربك الإدراك ويفجر الشك ويوحى
باليقين وهما متخيلا، حلما لا غير.

يا لهذه العلاقة بين الطيف الزائر، والفكر الراغب المتشهي الساهي
ظاهرا، والمتيقظ واقعا! نائم ومستيقظ هو، حالة مستفزة وهاجدة كأنما
هي حالة ترقب وحي، أو تلقى رسالة أو لحظة خشوع في طقوس
الصلاة. تتوهج الرغبة في الوصول فتشأ الحيلة ويكون الاحتيال طريقا
أخيرا لبلوغ المني. فيتناوم المستيقظ ويجعل أنفاسه قدماً وتنتظم حتى لا
تكاد تسمع أو ترى، ويستحيل المكان واللحظة إلى شيء آخر تماماً:
طهارة السكون وبكارة العدم كل ذلك إغراء للطيف الزائر، ورغبة
نماشة في التوحد واشتهاء صهاد لجوج لاحتضان الحلم وإدراك الحلول
والتوحد.

كيف لا ينشأ كل هذا والطيف نوراني عجيب شديد اللطافة مرهف
الحس، شديد التوجس والتهيب. تشرده رقة جفن مهما ضألت ونبضة
في شريان مهما خفت... ومع ذلك فقد كان ثمة شراب وسكر، كيف

ومتى أقيمت باخوسية الروح تلك ؟ ... لا ندري فلا المكان يفصح ولا الزمان يجيب.

أي شراب وأي سكر، لا ندري. نحن نروي فقط عن رواد عالم التصوف ان ثمة شراب وثمة سكارى قبل ان يزرع الفلاحون بساتين الكروم، وقبل أن يعي الإنسان صناعة الخمر وتعتيقها.

قم يا ندم إلى المدام وهاتها

فيساحها قد دارت الأقداح

من كرم إكرام وذن ديانة

لا حمرة قد داسها الفلاح

ونخال أنا سكرنا وأن غشاوة قد زالت عن ناظرينا ونعيد المحاولة لإدراك كنه الطيف النوراني العجيب! وإذا هو نور رعاش في العتمة دون الوصف وفوق اللمس، انفلات من توصيف المألوف وحده، وتنكر حتى للغة وأدائها. فمن أو ماهو هذا الطيف الحاضر الغائب والقريب البعيد؟! هل هو حلم. هل هو رغبة، حلم درويش في لحظة تخمر. بخور محترق صعود سرمدي ولا نزول؟! 

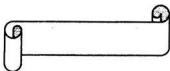
ينبثق النور في الراوي، فيخرج عن شرط الزمان والمكان يتحدّى المسافات والأبعاد يفقد الزمن انسيابه وتسلسله الأزليين ويتجه وجهة أخرى، عود على بدء يرتاد بنا فلوات ملوها الفرح والتهاليل والشك والحيرة.

علينا أن نبحث عن لغة جديدة، قاموس آخر انزاحت عنه قواميسنا

العادية لقراءة هذه القصة. نحاول أن نكون من أتباع ومريدي المتصوفة من أمثال رابعة العدوية وأحمد الشهاوي والنفري والحلاج. علنا نستطيع بعض الفهم ونحاول التأويل. لعلنا نبليغ تلك اللحظة التي تستعصي على الإدراك حيث ينشأ اتحاد بعالم الروح فينالنا ما نال النائم المستيقظ من سعادة تزرع في جنبات الفؤاد الخصب والألق والحيرة والشك معا. فما أروع الحلم حين يستوي شققا متألقا مضرجا بفرح الروح وبمحة الوهم ببلوغ الخلود.

هذه الأقصوصة :

بناء مقام في جنبات الروح قبابه ونوافذه بوابات تفتح على فضاءات سدومية الأبعاد يتألا غيرها وبين ثناياها نور يلد الظلمة وظلمة تتناسل ضياء وألقا. تلك الأبعاد القصية أبدا ما ارتادها غير قلة من الأنبياء والمتصوفة وبعض المبدعين الذين رزقوا عقلا متوهجا وحسًا دقيقا بذلك الهوس الدائم فينا. قلة هم غير التاريخ كله الذين خرجوا عن مألوف دنياهم، ضحت أفكارهم بعواصف الشك فكانت حيرتهم وكان عذابهم. حاولوا ولوج عالم الروح وقفوا على عتبات القصر، وما أندر من تجاوز ذلك منهم ! لمة من دفع حياته ثمنًا للمحاولة، ولمة من لاذ بالصمت وهناك من اصطنع الجنون ويبقى طلسم ختم الروح محتوما.



الروح تصعد من سقوطي

شعر : سامي الدببي

النار موقدة بكل الذم

ليل عيونها شجر نفور

عليقة تحوي إلها وسط نار

يا إلهي كم سنخلع من نعال ترتردي الوادي المقدس

يا عصاي ...

خذ العصا بيديها، واخلع، هو الوادي المقدس

ليس أفعى

كان وعيه خائفا

قبس ينير القلب

يتضح المسير

و كنت أجهر بالدعاء

ويدي تقسمان شهوة ليلها

ويداي مثقلتان خوفا

كمنه الصوي في

كميدي

نزرعته آبقا باسم السماء

هاذي الجفون مكيدة

غزو قديم في البياض

غزو جديد في الرثاء

ARCHIVE
كانت بلون يدي، يدي
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأنا أسائل عوسجا

ان يصطفي هارون محكما لفصحانا

ومحكما لكل نبوءتي

حكما يؤرقه الدفاع عن الوطن

وأنا أفسر جاهدا، الروح والصلوات

أقيس نبوءتي، نبوءتي

وأقيس عمق طهارتي

فرسا تدين عرسها

والأرض لا تلد الدوار

الأرض لا تلد الفضاء

صرحا

يماطل

صرحه المكسور...

ARCHIVE
يخضع ناسه المتفرجين

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بأن يلامس قوة الإبداع صرحا للسماء

عسس التراب تبعدوا دربي

ومالوا في معلقة الفقير

غرقوا بكل عقيدة

وتوسعوا بعصيتهم

قالوا كلامهم الأثير

أفعى يداي

عصاي ملهمتي وهي براءتي

قمر رشع " تلتقت ما يأفكون "

أخشى عليك

وفي يدي يدك

ملعقة من الأكوان يخط ضوءها شهد الدماء

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

علم عيونك أنت نبض دمي

وأنت توقعي

فجر المدائن، للممتني، خيط صبح ضاق بي

ترحال مرضعة الجانر

طلع التخيل بسجهم

لما احبوا حينها خروبة

جلس الغرب يفرك الزمن الحساء
والقلب يحكم قبضة القلب الغرب
والقلب كلب باع الحب الوفاء
عبثاً تمادى الموت في قبل الزهور
لا صمت بعد القول يتضح الشهود
ويتضجون الآن مستترين وثائرين كأي سنبلة تحارب
لا خوف بعد الخوف،

ARCHIVE
تفجير المسارب بالشهيد والشهود
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كأي محكمة تعاقب
والروح محكمة توفى سوسها
وأنا أسوسهما
دخلت إلى أبي
جنزت المعاني كلها
جنزت الجانر ملثماً بفريتي

دافعت عنها لم أخها
خانني درب التصال
وخانني حلوا الهجاء
والآن وحدي أمرتدي نيل المقاتل
أمرتدي ظلماً الشعوب
وعصاي مدفأة الشتاء
وحبيبي وطن ترين بالدماء
وطن ينقش عن صديق
http://Archivebeta.Sakhril.com
وطن يسبح دمعنا
وأخ يفلد مراقبة
عقدنا من الأتواء دور خاتماً بالأصدقاء
يا خاتماً فلق المياه مجرّدا من صورة التكوين
وانقجر المكان مسارها
والماء متعطفا يشق البحر

يَدَا تَمْتَدَّ

تَعْتَفُ نَبْلَهَا

كَالنَيْلِ يَعْرِفُ مِنْ دَمِهِ

كَرَمَادٍ أَحْزَانِي،

تَسِيرُ بِقَلْبِهِ الْمَشْطُوبُ صَحْرَاءَ الْأَغَانِي

وَالْأَمَانِي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عَطَشُ الْمُرِيدِ يَقْبِلُ الصَّحْرَاءَ

يَجَادِلُ قَتْنَةَ الْمُنْفَى مَرْوَحًا فِي الْعُبُورِ

آمَنْتُ بِالْوَطَنِ الصَّفَاءِ

آمَنْتُ أَنْ لَا قَلْبَ يَنْتَرِفُ فِي الْمَعَانِي

لَا مَرْقَعَةَ الْفَجْرِ الْمُضِيئَةِ

لا حمائم هاجرت أصواتنا

أصواتنا ملئت حناجرها

وملئت رقص المذبح

صار الذمع بكبي والبنادق تستحي شرف البوادي في الغناء

صار الإله إلههم صنما

وفضلهم على الأشجار والأقمار



ARCHIVE
والشمس أنهكها البخور
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

شهما من الوله المراض في الوصايا والدعاء

ناديت أرغب أن أمراك بكل كلي أن أمراك

تعبت يا ملكوت

تعبت أمرب الأجيال في تعبي

فمن مرب إلى عجل أقود هوايتي ونهايتي بعبادة جسد الخواء

عجل تيسر في أنا

عجل تشمس في أخي

عجل تأله في أبي

عجل تخثر في دمي

ودمي سنابل صومها حرث الشهود

وقمحا أنثر التجدد في الهواء

ودمي، دمي لكن سأحتل الدم المتخثر الآن في دمي

بكل التبه في الأرض المقدسة الحرام

جبل من الرغبات ينتق بالقيود

تعويذتي لم تمسك الروح المحلقة الجفون

تعويذتي شوق المساءات القديمة للقاء

صفراء كانت فاقع

من نسج عاشقة

تسر الناظرين

لسانها سوط

لتحى يا قتيل

ماتوا وقتلهم تناسوا أن يموتوا

فأفصح الوطن المعافى

وأفصح الوطن المضمّد بالجفاء

هذا جبينك صامخ يتحدّى قواميس الكناية

والرماية والبقاء

هذا خواء الواقفين بكل حجارة

وهذا ما تملّص من شفاء الصامتين

ومن عيون ما ذن الفقراء

قالوا : نكون شهود مرغبتهم

وأنت ضريحنا

لا تسأل الزهر الذي ينمو على مرغباتنا

لا تسأل الشمس التي مرفضت مجيئك
أنت منتشر بكل رسالة شقت مواسمها صور
الذرب أقصر

أنت لا تبادل الأسمى البرينة
أنت قلبك في عيونك لا يضيء

فأرح جهودك لا مفر

لتقاتل الزمن البطيء

تصارع الطفل الحجرة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فزماننا هذا الذي مر

ليس كالزمن الذي قد لا يجيء

وأرح جهودك كي تقادري لنا / دوائرنا

واصل خلاصك

أنت لم نخن الوصية والرجاء

سبعون نجما أطفأته

تعبت يا ملكوت

بيت القصيد

شعر: أسعد أبو السعود

أبا شعر أنت ملائني وعوني

أنيسي وكوني وبيت

القصيد

فمنك تراه لعيني الجمال

والهوى شعوري بسحر

فريد

وبغيت بقلبي نضال الشعوب

تبر الظلام معز مر جديد

وأنت الذي يحدني الزمان

ودرمي المنايا بسهم الخلود

ورغم عتائي وطول أذني

فأنتي أنا وبي شعر جديد

أبا شعر أنت ملكة الفؤاد

وصرت رفيقا لعصر جديد

والهبت حسني فبت الليالي

أنا جي خيال، خيال القصيد

بين أسد وطائر حمام

شعر : جميلة الشريف

لحت شجرة السنديان
نام الغريب منهكا من تعب الترحال
وبين أحلام اليقظة وحلم المنام
مرأى أمامه طائر حمام
في حضرة أسد ض غامر
وتمعن منهما كلام
قال طير الحمام:

أنها الجبار
لماذا تهوى سفك الدماء
وتعشق الدمار
تجاهل أنسام الصباحات
وقدوس أكمال الأزهار

تسكت أنغام الأطيّار
 وقطرب لنغيق الغربان
 تسأصل أفئدة الكبار
 وتختق فرجة الصغار
 " فكيف تسعبد المخلوقات "
 وقد ولد لهم أمها لهم أحرار
 زأر المصور دقات ثم ما لبث أن هدا ولان
 طأطأ رأسه وقدم من طير الحمام ودعه قد سال
 أخرجوك خلصني من هذا العذاب
 فانا لا أنامر
 تراني نهي الطلعة صقيل العنق
 وعنتي مقيد منذ قديم الزمان
 أنيابي بارزة أبدا
 لا تمزقني حينما أنامر
 أرى نفسي غرابا أسود أو خنزيرا جبان

أخون الأمانة عنوة

واغضب خيرات الأوطان

أيها الطير الوديع، أليقال انك رسول السلام

هيا، اقرب قليلا، اسقني ماء. أني ضمان

غرد طير الحمام وحلق في الرحاب

وقال:

سجل أنها الزمان

يموت الحزن منا مرة واحدة عزيزنا مصان

وملك الغاب يموت كل ليلة مهان

ينعطر بروائح جرائمه

وينتفي دماء الأبطال

وعلى وقع هذا الكلام

استيقظ ذلك الرخالة

ورسخت شجرة السنديان

أكثر من نقطة استهزام.

صراخ اللقاء

شعر : حياة الحنشي

ما أروع صراخ اللقاء.

لشاديني بأحرف

هي أحرفي

هي البحر

وأنت الضياء.

فأدبت يدوري الشمس

أن اشهدي على هذا اللقاء.

فأمر الموج بين أكن

الحياء

نسيت أن أسألك من

تكون ؟!

ضاعت كلماتي، نظرت

حولي،
جملت جسدي،
فأديك تعال لخبرني
على اين الرحيل؟!
أجبتني بعينين
واحدة تبكي والأخرى



لترسألين؟
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على أبواب المدينة

كان يهمس:

لترفضين الإقامة

داخلي؟!

هل سبتين

غريبة بين

النجوم

والقمر؟!
أنا لم أعد أفهم
كتاباتي!
ولا شجونني!
ولا

ابنساماتي!

بالدمع فقط

أفهم رسمي
ARCHIVE
<http://Archiv.Bel.Sakhril.com>
أفهم كيف

أطعمتك حباتي
كيف عبرت إليك
بين عشرات النساء
ناديت تعال حبيبي
أنا هنا
فمترك بين الجنين

والأحضان

غدا سطور حكاياتي

وغدا ستمل أحزاني

ألم الليل يكون

وماء

الفجر

فما أفعّل بصدى الصوت

وأي صوت هو النسيم

<http://Arch|vebeta.Sakhril.com>

والنغم؟

ذاب لفظي،

سكنت آماتي،

حننت جنني،

تشقت شفاهي

وقررت اعترافي

أمثلة الجوارب

بقلم : أبو عبد الله

هما توأمان .

معا يولدان ويعيشان ويندثران .

جعللا دثارا لتوأمين متلازمين .

مثنى لمثنى ... والنتيجة دفء وستر ووقاية.

لم يكن التعل في يوم أمينا على ساكنيه .

لذلك فرضت الوساطة ... لضمان حسن الجوار...

والتعايش السلمي بين الساكن والمساكن.

لكن للوساطة لمن بل ألمان :

إذ على الوسيط أن يتقايس أولا مع هذا المخلوق العجيب

الممعن في الإعوجاج... تنوعاته كثيرة... تضاريسه وعرة واختلافاته لا

يمكن حصرها . أما المنعرجات فحدث ولا حرج ومع ذلك فعلى التوأم

أن يتأقلم ليصلح ذلا البين بين الوهاد والمرتفعات... بين الطويل

والقصير وما بينهما ...

يرى البدين والنحيف ... بين المخلب الحادّ وذاك الذي يخضع لحدّ

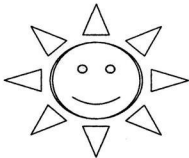
السيف فصار أقلّ عداءً وتمرّدا ... ولو لفترة .

على الوسيط أن يتحمّل أعباء التعرق وما تجود به عليه من إفرازات
السّاكن وردود فعل التعلّ على كلّ الاستفزازات التي تمارس عليه تبعاً
لما يوكل إليه من مهام.

لكن يظل هذا يستر عورة ذاك... لا ييوح بأسراره لأحد مادام التلازم
قائماً والجوار مستمرّاً. أمّا في صورة الطلاق والتفرقة فالأمر مختلف .
إذ لا يفضح حالة الجوارب إلا خلع التعلّ ...

سل عن شعور صاحبها عندما تكون مثقوبة بالية عفنة وتخرج للعلن .
التوايا يا سيدي مثل الجوارب.

وأنت أقدر على إيجاد تقاطع التلاقي بينهما لذلك أكتفي بهذه الإشارة
وأنا على يقين من سلامة حواربي وجواربك من الثقوب وغيرها.



الرواية المسلسلة :

رجال في ليل المدينة

الإهداء : إلى عبد الرحمن مجيد الربيعي بحبة ووفاء
لصداقة عاشت وأعطت

بقلم : سليمان البكري

الفصل الأول :

((تكون معي))

" لأن الليالي تنن على ساكنيها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تكون معي

هنا بين نمر ونمر

وما بين صيف وصيف

تكون معي

إذا غادرتنا الفصاحة

واختار فينا الطريق

تكون معي

شبيها بوعد الجياها الحكيمة

شبيها بلون العراق "

الساعة المعلقة على حدار القاعة الرصاصي تعلن العاشرة.

قابت "همنغوي" على المنضدة وامتدت يدي لتناول لفافة تبغ.

صورة الشيخ "مانتياغو" تطالعني وهو يسحب بقايا سمكه الكبيرة. قلت
لكمال الذي يجلس بجانبني يقرأ "الام"

- "حقا قد يتحطم الإنسان لكنه لا يهزم".

وأشرت إلى كتاب "الشيخ والبحر"

توقف كمال لحظة عن القراءة وابتسم بصمت وهو ينظر نحوي. نفثت
نفسا دخانيا وأنا اتطلع إلى الميكاره وهي تحترق بين اصابعي وفكرت
بالاجتماع القادم بعد غد. أريد أن بد أن رفاقنا فكروا به ولو مرة
واحدة.

تقت اللحظة إلى قدم شاي وأنا أرى فراش الكتبة العامة يحمل صينييه
نضدت عليها اقداح الشاي همست لكمال :

- أدعوك لشاي "نازة" من المقهى المجاورة للمكتبة.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رفض كمال دعوتي بوقار كاذب مشيرا إلى كتابه.

((بافل)) يرفض.

واستمر يقرأ في (أم- مكسيم غوركي))

عدت أفكر بالاجتماع.

هل سترتفع الأصوات خلال النقاش ؟ وهل مما طلب من الرفاق الهدوء

شاني كل موه ؟

سقطت نظرتي على ساعة المكتبة فلم أجدها قد تحركت كثيرا ومن

وراء النافذة تناولت أشجارا الثل بصمت حزين. نظرت إلى كمال

وسألته :

هل ((الأشجار تموت واقفة)) أم مستلقية ؟
أغلق كمال "الهم" وبدا على وجهه شيء من الغضب.
لماذا لا تتركني أقرأ ؟

خذ قليلا من الراحة نحن نقرأ منذ ساعتين.
واشار بيده نحو لافتة موضوعة على الجدار.
انظر هناك

تطلعت باتجاه يده
"الكلام ممنوع رجاء"

همست:

لكني لا أسبب ازعاجا.

بالعكس أنت تزعجني.

ابتسمت له ثم صمتت

مايزال أماننا وقت كثير لنغادر المكتبة وقراءة ساعتين بدون انقطاع قد

أتعبني فمضت وقلت لكمال

أتمشي قليلا في الحديقة

هز كمال رأسه موافقا

في الصالة طالعني ووجه موظفة المكتبة الأسمر وراء الشباك وعيناها

تحتفيان وراء نظارة سوداء وهي تسجل اعارة كتاب لفتي مراهق وكان

الفتى يلتم ساقها الذي انحسرت عنه تنورها قليلا بنظرات جهنمية شيقة

مررت بجانبه ارتبك كتلميذ صغير ضبط في عملية غش وقت الامتحان.



رأيت وجهي في زجاجة الباب المستطيلة ولاح لي أن عيني حمراوان
خلفت الكتب والمجلات ورائي واحتضنتني خضرة الجديقة وازهارها
الشتائية مهربلة في خطوط مستقيمة ومنكسرة تنكمش فوق التربة
السمراء.

شعرت براحة مفاجأة وانا أتطلع على ألوان الأزهار المختلفة وتمطت
الأفكار في رأسي.

مدينتنا يحيطها الهواء البارد خارج اسوار الحديقة. والناس فيها يلتحون
على المدافئ والماعات القادمة مهمة يجب اجتيازها بروح رفاقية
والوصول على الفرار الصحيح هو ما ابغيه.

التنفيذ بدون خسائر أو بأقل خسارة ممكنة ذلك هو مساري دائما وأنا
اجابه العديد من المهام النضالية، ان اعز شيء لدي هم رفاقي. هم
الحزب. اعرفهم بفكري أعرفهم بقلبي.

أمس زارني أحد الرفاق قال بود عندما تسوك حالتي النفسية ألتجئ
إليك قلت مداعبا.

هل اصابك الغثيان من جديد ؟

اننا ننشابه يا عزيزي لا تبتس.

مفوض الأمن يراقبني باستمرار

أمن الممكن القول لرفيق جاء دورك الآن. أدخل بقدميك السحن. لقد
مارسنا النضال طويلا وأصبح لدينا ما يؤكد الحاسة السادسة من
توقعات صحيحة للنتائج.

قال رفيقي بلوعة :

مامي .. لا أداري لم أتوجس شرا من هذا المفوض ؟

قلت اطمئننه :

ليس هو الموت أنه مفوض فقط

واصل الرفيق قوله :

أحسن به بيتي مر علينا

قلت محاولا ابعاد هذا الشبح واننا واعون لكل شيء :

السلطة كلها تتأمر

تكلم رفيقي بانفعال ظاهر. واصفيت له طويلا. اجتاحني الصمت وانا

احدق في وجهها المنفل وجه خائف حذر، حزين احيانا تعطي بعض

العمليامردودا عكسيا. ومدينتنا الصغيرة يتصاعد غبار شوارعها حين

مرور وسائط النقل فيها وأنا أراقبها اللحظة غير سور الحديقة الواطئ.

عدت أدراجي إلى قاعة المطالعة وبدأ بعض القراء يتركون ما في أيديهم

ويتجاذبون أطراف الحديث بهمس في حين مازال "مكسيم غوركي"

يتلاعب بأفكار كمال.

قلت بلهجة ود وأمر :

حان وقت ذهابنا، انفض

نظر كمال في ساعة يده

ما يزال أماننا ساعة

أشعر بقلق وضجر . هيا نحرك أقدامنا في الشارع

لغض كمال من كرسيه وقال مبتسما

بدأت تقلق كوالدة (بافل)

وأشار إلى رواية "الأم" التي كان يحملها وعلقت على مافاه به:

هيا لا تفلسف

تركنا المكتبة وتحركنا باتجاه الشمس. الجو مشبع ببرودة جافة جعلت

كمال يرفع ياقة معطفه إلى الأعلى

أين نذهب .

أشرت بيدي نحو الأمام

إلى مقهى النصر

ضوء الشمس وحركة الشارع وسرى بمحاذاة كمال جعلني أشعر

باشراح وكان قدح الشاي الذي ينتظري في المقهى سببا في جعلني

أستحث خطي كمال في السمرز دخلنا المقهى وتريثت نظراتي عند

الزاوية المجاورة لموقد الشاي كان رحومي وأسمه منهمكين في لعبة

الشطرنج كعادتهما. جلسنا على تحت مجاور لهما. أصوات قطع

الدومينو تسمع بوضوح من المنضدة القرية. وجه (الأسطى) عباس

صاحب المقهى يشغل مكانا واسعا وراء منضدة صغيرة في المدخل قبع

خلفها في حين راحت يده تحرك (الخردة) التي ملأت كيسا من القماش

الأبيض المتسخ بفعل الاستعمال. كان (الأسطى) عباس يتعاطف مع

الحركة الوطنية وله تاريخ حافل بمساعدة المناضلين. انطلق صوته

كقذيفة.

ابني حمودي شاي تازة للجماعة
وأشار للعامل بالتأخاها. بعد قليل لمحض من وراء منضدته واتجه إلينا وبعد
أن نظر إلى الشارع من وراء زجاج المقهى وضع فمه قرب أذني :
هل الإشاعة صحيحة ؟
اية إشاعة ؟

غبعاد محمد وجماعته إلى مدينة العمارة

نعم صحيحة

قال بتعجب وغيظ:

عدالة :

جاء صوت من منضدة الدومينو :

شيش بيش

انسحب (الأسطى) إلى مكانه. صورة محمد ورفاقه المبعدين إلى العمارة،
تلك المدينة النائلة الموغلة في البعد جنوبا تنعكس في قدح الشاي الذي
وضعه عامل المقهى أمامي. هم الآن في طريقهم إلى المنفى، على الإقامة
الجبرية. ونحن هنا نخشى شايا ساعنا . رشفت الشاي بصورة ميكانيكية
دون التفكير بمجودته أو رداءته ولم يستطع قدح الشاي أن يبرد كأبني
الحقيقية التي وصنعتني بها كلمات (الأسطى) عباس "رفيقي محمد، رفاقنا
خالد ومهدي وغانم. أجل رفاقنا. سيأتي الليل على مدينتنا الصغيرة
لتكونوا جميعا كلمات نضالية في افواه المجتمعين وسوف نداري تعاستنا
وفشلنا بتريرات بائسة. جاهزة. ونعاود شرب أقداح الشاء. إني أحزن

للأخطاء التي تقع في مدينتنا من رفاق يفترض فيهم اللادراك والنضج.
ما ترانا سنفعل باجتماع بعد غد ؟ "

امتدت يد كمال إلى كتفي بحركة خفيفة مفاجئة :

اين وصلت ؟

ابتسمت باشفاق :

مازلنا في مدينتنا . (الأسطى) عباس اثار في نفسي آلاما مبرحة.

تقصد محمد . خالد . مهدي ...

نعم

لا تبتس أنه طريق النضال . كان لكلماته وقع أشبه بضربة مطرقة تنهال
فوق رأسي.

نعطي رفاقنا للسجون والمنفى بدون مقابل ؟

قال كمال باهتمام : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

و لم دون مقابل ؟

تحفرت غاضبا :

ما الذي فعله رفاقنا لتبعدهم السلطة عن المدينة ؟

.....

لماذا تبصمت ؟ ذهبوا ضحية تقارير ملفقة

رد كمال بهدوء :

هذا خطأ السلطة العام على مستوى العراق

قلت بحركة :

وأين خط الحزب ؟ هل كان الصمت سياسته يوما ؟ يبدو ان حزبنا يتبع سياسة الأمر الواقع لماذا لم تفعل شيئا ؟

ابتسم باخاء وقال :

هل هذا احتجاج ضد سياسة الحزب ؟

نفيت ذلك بشدة .

موكد لا . لكنني أدعو إلى ضمان حياة ومصر رفاقنا .

هل تتصور أن الحزب يفرط بهم ؟

لا بد من انقاذهم .

نحن متفقان . لكن السلطة .

يجب إحباط مؤمراتها في ضرب القاعدة ومغازلة القيادة .

ARCHIVE

لكنه واقع حياتنا اليومية : الحزب لم يتحرك عند إبعاد رفاقنا .

الحزب لا يملك سلطة .

لم تفهمني ... أقصد أن اتمام الأبرياء وتلفيق تقارير مزورة يعقبها سجن

أو إبعاد رفاق جيدين لم يكن هذا هينا . على الحزب أن يعالج هذا

الوضع بسرعة.

كيف ؟

استعمال وسائل مضادة مع الأعداء

ماذا تعني ؟

العنف الثوري

مع السلطة ؟

طبعاً ومع أداها الرجعية

انت تطلب الكثير

بل هذا تحفظ من الحزب وتفريط في الثورة

هل حديثك محاكمة للحزب ؟

صدمت لهذا السؤال. واجتاحنا صمت متعب. أكان ينبغي ان احرف

في اقوالي؟ أنا أبحث عن سلامة رفاقي. لست دعياً مجرداً من الحس

الثوري. حياتي كلها للحزب والثورة. غير اننا يجب امتلاك الطريق

الصحيح وتجاوز الحلول السهلة. نهض رحومي وأسامه واتخذنا مكاناً

بجوارنا. قال أسامة هازناً :

مات الزعيم ... أقصد مات الملك.

قال رحومي وهو يمسك ورقة بيد أسامة : <http://Arc>

صوتك مرتفع .

نظر كمال إلى رحومي بغضب .

ليس في المقهى . احذر من هذا السلوك. وكان يقصد المنشور الذي

سلمه إلى أسامة .

قدم رحومي سيكارة لكمال . وانفجرت فتحة الباب ليدخل أحد

رجال الأمن.

قال أسامة :

صيد دسم. ارتجفت يده وهي تمسك بالمنشور ودسه بعصبية في جيبه.

تاءل رحومي مبددا صمت اللحظة الثقيل.

أتلعبون الشطرنج ؟

رفض كمال :

لا احيد اللعب

قلت :

لماذا لا نتحدث ؟

عن أي شيء ؟

عن رفاقنا .

الجميع يتحدثون عن هذه القضية

سأل اسمة ك

هل هي خطة الحزب في غثارة الناس ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ليست إثارة بل قضية

قال رحومي :

كل قضية معرضة للمراجعة

رد كمال :

من الأفضل رؤية الأشياء كما هي انكما تراها

أحتدم رحومي:

كيف أراها ؟ هل تنقصني الرؤية لمعرفة الحقائق. تمأون التنظيم في مدينتنا

سبب وقوع الأخطاء

غضب كمال :

لم يحاول التنظيم أن يكون دكتاتوراً يوجه حياة الآخرين
أهذه فكرتك عن التنظيم ؟

قال أسامة مهدوء :

إذا استمر الوضع بهذا الشكل قد لا نجد من يقف معنا.

التنظيم في المدينة جزء من الحزب على مستوى عام

زفر رحومي :

نحن كهوف حقيقية تصلح للاختباء

رد امامه :

نسبر ولا ندرى إلى أين . ارتفع صوت كمال :

هذا تخاذل .

قطعت الطريق على موقف انفعال بدا يتنامى .

نريد أن نحيا مناضلين حقيقيين. والحزب أملنا في الحياة ونحن فيه أعزاء

الجانب. تطلعت إلى رجل الأمن الذي قبع في زاوية بعيدة محاولاً جعل

رواد المقهى يقعون تحت نظره ليمها عليه رصد الجميع . تربع فوق

التحت بشكل مقرف وراح ينفث أنفاساً دخانية كثيفة من نركيلته.

أشار رحومي إليه :

سيلتهب بعد قليل .

انفلتتا خارج المقهى . عينا رجل الأمن تلتصقان بظهورنا. غبنا وراء

الحاجز الزجاجي مخلفين وراءنا الضوضاء والدخان وعيون السلطة.

يتبع ...

مقام جدي

بقلم : محمد بن علي

أنت :

- السلام عليك يا جدي ...
- ألا تستيقظ فقد طال النوم ؟
- أنا في حماك ألا تسمعي ؟ ...
- أنا في حاجة إليك فهل تمد إلي يديك ؟ ...

عندما فتحت الباب الأخضر الصغير في مدخل مقام جدي غمرتني برودة المكان المغلق منذ أيام ... ولفني الظلام المتراجع أمام سطوة أنوار المساء الشاحب... وانهمر العرق على جسدي وزحفت على ركبتي ومددت يدي أتحسس التابوت المغطى بغلاف أخضر مزركش بألوان صفراء وبيضاء وفوقه بقايا شموع احترق بعضها... أشعلها أناس أتوا إليك معذنين ضارعين باكين... ومن السقف تتدلى سلسلة تصعد معها نداءهم إلى أقاصي السماء... وعلى الجدران المنحنية آيات قرآنية وصور باهتة وبقايا آهات ضارعة...

المكان صامت يعبق بأنفاس ولا أحد يتحدث عنك يا جدي ... أنت يا جدي أتيت من الصحاري البعيدة وسكنت هذه القلعة المطلة على هذه السهول منذ مئات السنين في هذه البلاد الغريبة... وحولك تمتد سلسلة من الجبال تمد أعناقها إلى السماء ثم ترحل نحو الجنوب حتى

تهوي في البحر... والطريق يصعد إليك ملتويا تريايا من سهل أخضر
يغزوه واد يسافر نحو الشرق... وفوق الهضبة بجانب القلعة انتصب
مقامك متوحدا شاعخا منارة وشمسا وضياء...

هذا مقامك يا جدي وقد مرت عليه مئات السنين... وأصبح يسكنه
الظلام... هنا في وحشة الفلاة تنتشر حجارة تنغرس في الفلاة ولها
أنياب تحرسك... والقلعة بجانب هذا المقام مرتفعة في الفراغ تتوج
رأسها صخور تود أن تهوي في الفراغ السحيق لولا قوى خفية تشدها
إلى الوراء...

أنا :

يا جدي ... طويت الصبا، ومرت سنوات العمر زاحفة نحو النهاية
... ولم يبق من ماء أمس قطرة تروي الأحشاء... وزحفت الكآبة
لتملأ أرجاء النفس... أنت لا تعرف كيف تكاثف سحب الكآبة...
وتزحف ثقيلة بطيئة... تتمدد في العروق رصاصا ذائبا يجمد الدماء...
فيثقل الكيان وكأنه يحمل كل صخور هذه القلعة العالية الضاربة في
القدم.

لا أحد يا جدي يقدر على كسر حصار الكآبة.. فهذه الرأس مليئة
بضباب يزحف ويثدا ويغطي أرجائها... وهذا العزم يخور... والحياة
تمتلئ بالقتام... والدنيا يعلوها هذا الغيم السافي... وجذور الروح قد
جفت ينابيعها... ترى يا جدي من يسقي جذو الروح... من يمد يده
ليملأ القلب أياما صاحية مبهجة ؟

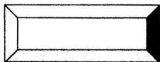
آه يا جدي ... أي وجع يسكن رأسي ؟ وأي آلاف المطارق تضرب على جداره من الداخل ؟ ... وعندما يرحل الناس في نوم عميق في هدأة الليل تشرع الكآبة في حفر جمجمتي بمعاولها... فأحرق في الظلام دون أن أنام ... محطما أنفخ كل صباح... أرى هؤلاء البشر الساعين في دروب الحياة أعداء يتربصون بي ... بل ديدانا تزحف باحثة عن طعام وربما مستهشني... وأغوص في بحار من الرعب... وتصكني الأحجار فتدمي الأظافر وتتر منها الدماء... من أين يأتي هذا الرعب؟ من أي عوالم تأتي هذه الكآبة ؟ ... فأصرخ في الناس : أيها الناس انفضوا وأخرجوا هذه الكآبة من رأسي...

حملت رأسي بين يدي بعد أن عجزت كنفائي عن حمله وقدمته للأطباء ليبحثوا فيه عن داء... فأخترقتني الإبر وصيغت عروقي بالوالمها وأخترقتني الأشعة وتأمل الأطباء صور جمجمتي لعل داء الكآبة منها يطل بعد أن تفتتح الأبواب... ولكن جمجمتي كان يسكنها الوهم والخيال... فكيف يداوي الأطباء الوهم والخيال ؟ وأي بلسم يشفي جراح الكآبة ؟ بل من يستطيع أن يجمع شظايا الروح المتناثرة ؟
نحن :

يا جدي ... يا صاحب المقام العالي... يا ساكنا في القمة جوار هذه القلعة العالية... أنت ذائع الصيت... يذكرك الناس ويهتفون باسمك في الأصقاع البعيدة... ويشتاقون للقدوم إليك ... الآن وقد مرت عليك مئات السنين وانتشر أبناؤك وأحفادك في هذه السهول وامتدت

جذورهم في هذه الأرض... لا أحد منهم سينساك أو يهمل ذكراك...
 الآن وأنا أتمدّد في مقامك أشعر أنّي قريب منك... وأنه بوسعي أن
 أحدثك ... وأستمع إليك ... أنفاسك الملهبة تحرق وجهي تزعزع
 كياني فأتضاءل في حضرتك ... أنت ترقد تحت هذا التابوت راحلا في
 الدنيا البعيدة... هذا الفراغ يحيط بك... وهذا الصمت... وهذا
 الصفاء ... أنت تمدّ يدك إلى الغيب... فهل تفتح أمامك أبواب
 الغيب؟

دمائي تركض في جسدي... هي منك... رغم مئات السنين التي
 تفصل بيننا ... أنا لا عمر لي في حضرتك... أنا من أنا في مقامك
 العالي؟ أنا سحقتني الكآبة ومصت عظامي وشربتها إلى القاع... ولا
 أحد يداوي هذه الأوجاع ... أنا أتيتك... وقد أخذ الصمت يلفني
 وأنفاس الليل القادم ترحل في أعماقي ... متوحدا في الظلام الذي يحيم
 على مقامك يا جدي فوق قمة هذه الجبال... متوحدا لا أسمع سوى
 صوتك... لعلّي عندما أشرب كؤوسا من الصفاء في حضرتك يزول
 هذا الداء الذي يسكنني ... فمد يدك الحانية وامسح بها جيبي الملهب
 لعل أوجاع الحزن تزول...
 ألا تسمعي؟



ما جناه أبي

قصة : حسني سيد ليب

(القاهرة)

منذ رقد على فراش المرض، بات يقلقني رنين الهاتف. أهرع لالتقاط السماعه. غالبا ما يكون المتحدث أمي، أو אחتي، أو أبي نفسه. أعرف منهم تطور حالته، وربما يستدعوني، لوقوع أبي من فوق السرير، ويخشى أن يكون الكسر لم يلتئم، أو أنه أصيب بكسر ثان..

لم أنتظر رنين الهاتف، فأكثر من المرور على بيت الأسرة الذي يبعد عني مسيرة عشر دقائق سيرا على الأقدام.

سمعت مؤخرا صوت أبي، غير أسلاك الهاتف، كأنه صادر من بئر عميقة. صوت واهن، لكنه واضح.. يحكي لي عما حدث في صباح هذا اليوم.. إذ استطاع النهوض عن الفراش والمشي. قلت أستوثق من كلامه:

- هل مشيت يا أبي ؟

- نعم.. مشيت..

صمت برهة ثم قال:

- وعبرت الشارع.. وحدي..

- ما شاء الله..

طلق يحدثني عما حدث تفصيلا. وكيف مشى مع رجال الشرطة

وجمع من الناس، حتى وصل إلى قسم الشرطة، فوجد والدتي سبقتة على هناك!

حكى لي عن ضابط الشرطة الذي رنا إليه، لكنه لم يتهمه بشيء..
قلت مندهشا:

- ماذا كانت تفعل؟

- لا أدري ..

قلت معقبا:

- كثيرة هي الأحلام.. تصور لنا عالما جميلا، أو غريبا..

كانت والدتي دائمة الشجار مع أبي. ولعل الحلم إسقاط طبيعي
للعلاقة غير الودية بينهما.. لكن أبي نفى بشدة أنه كان يحلم.. إنه يسرد
واقعة. يؤكد لي ذلك، ويؤنبني، أو يعاتبني على ظني الخاطئ..

كرر رواية ما حدث، فرفعت عقيرتي متضايقا من تحويله الخيال إلى
واقع:

- يا أبي.. أخرج من دائرة الحلم.. عد إلى الواقع.

قال بصوت هادئ:

- تعال..

- حاضر..

وضعت السماعة وقد خشيت أن يكون أبي يعاني ما يسبق الموت من
روايات لرؤى لا تمت لواقعنا بصلة. ولكن أبي طلبني على الهاتف، أي
أنه طلب رقم هاتفي، دون أن يخطئ، هذا دليل على أنه في حالة من

الوعي لا أنكرها.. أما السير على قدميه، وهو طريح الفراش من جراء كسور العظام في الفخذ والحوض، فهذا ما لا أصدقه، غلا إذا حدثت معجزة من السماء. أجرى جراحة في العظام لعلاج الكسور، لكنه لم يبرأ من الجراحة بعد. عدوت الطريق على بيت والدي، وعندى أمل ان أحده يمشي. أصبحت مثله، أتوهم الأمنية واقعا.

راجعت علب الأدوية الموضوعة على الكومودينو، وتأكدت من تناوله العلاج في موعده. حدثني بتلقائية، وهدوء نفس.. وعاد يروي لي ما حدث له. نفس الرواية لم يزد أو ينقص منها حرفا واحدا. كأنه يعيد قراءة نص في كتاب دون تغيير أو تبديل. عزوت ما حكاها إلى أنه حلم، فتهدد في ضيق من سوء ظني أو سوء فهمي. عدت إلى الواقع، فألفيته متنبها لي، لم يشرد أو يغف. شكى لي من أمني..

تركنه في غرفته بالطابق العلوي، وجالست أمني في الطابق الأرضي. لا بد يا أمني من مصالحة أبي. إنه يعاني. تصمت. لا تجيب! تشكو لي هي الأخرى من مرضها.

سمعت صوت أبي ينادي على أمني وهو على درج السلم. هرعت إليه. وجدته يحبو هابطا الدرج، على يديه وقدميه.. كالطفل.. وجلس إلى جوارها.. يصالحها.. يتأمل غرفتها التي لم يزرها منذ مرضه. مضت شهور لم ييارح غرفته العلوية. قال لي وهو يشير إلى عدة الهاتف الجديدة:

- لم أرها من قبل..

- اشتريناها منذ أسبوعين..

صمت طويلا، يتوقع من أمي الاستجابة لكلماته. رجوتها أن تتحدث إليه، ولو بكلمة واحدة، فأعرضت عني وعنه. يا لها من قسوة. ما الذي جنيته يا أبي في حقها؟
انحدرت دمعة حبيسة على خدي..

عاد أبي من حيث أتى. لكنني في هذه العودة، أمسكت به وساعدته على الوقوف. ساعدتني أختي من الجهة الأخرى. صعد درجتين، وعند الدرجة الثالثة توقف، وصدره يعلو ويهبط من ضيق شديد في التنفس.. فحملته بين ذراعي، وصعدت به على غرفته. أرقدته الفراش، وجالسته أخفف عنه الجفوة، وأروي له عن مرض أمي وأنها تعاني كثيرا، وغاليت في وصف مرضها المفاجيء، فصدق ما أقول.. كأنني مددت إليه قارب نجاة يعبر به نهر الهواجس.. كان مستعدا أن يصدق أي شيء يطمئن خاطره، ويخمد زوابع القلب.

ونزلت أحادث أمي. ماكان يجب أن تجافيه، أو تخاصميه.. فزجرتني.. حدثت نفسي:

"هل قدّدت قلوبنا من الصخر؟"

وعدت إلى بيتي، أستغفر الله له، ولأمي، ولي..
رحمك الله يا أبي..

رحمنا جميعا..!